



HARLEQUIN - "ABIR" - No. 134

جانتيت ديلي

أنى لىبقى



أنى لىبقى

مرت سنوات طويلة قبل ان تلقي نانيا زوجها جايك مرة ثانية. كان يبدو انه يهرب من شيء ما، من حيلة لا حب فيها، أو من نفسه ربما. وبقي في بلد بعيد لا تعرف عنه زوجته الا التزوير اليسر. تزوجا بسبب أمر بدا ضرورياً وهاماً للغاية في وقتها، وكان رواهما اسماً فقط، غطلة جبر على ورق. ولكن نانيا أصبحت الآن بحاجة الى أن يلقب بجانيه، يرشده، ويأخذ منه قواماً أن تستقبل.

... وجدت نانيا نفسها مرفعة على الرضوخ ومطالبة بالعودة الى البيت. الا انها لم تكن مستعدة للمعاملة العدائية القاسية التي لقيتها منه، ولا لوجود تلك السمراء الجذابة شيلا رابنته في الجوار.

أصبح أشبه بالغريب. كما ان السر الذي لحمله في قلبها لم يعد يحمل الصمت.

هل ستحاول، من أجل الصبي، الفداء زواجها؟ وهل عاد زوجها هذه المرة... ليهي؟

لبنان ٤.٥٨	الكويت ٥.٥٠	البحرين ١٠.٠٠	السودان ٥.٥٠
مصر ٩.٥٠	الولايات ١١.٠٠	كوت ديفوار ١٠.٥٠	U.S. ٤.١
الاردن ٦.٠٠	البحرين ١٥.٥٠	ليبيا ٥.٥٠	France F 12
العراق ٥.٥٠	قطر ١٠.٠٠	البحرين ٩.٥٠	Exco Ds 150
السعودية ٩.٥٠	عمان ١٥.٥٠	قطر ١٠.٠٠	Exco P 1250

© JANET DAILEY 1935
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: جيتيت ديلي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لحارلكوين
(قبرص) المحدودة

١ - الزوج الغائب

كانت الطريق إلى فيوري جود معبدة وممرضة تشاري بدلال كالأهل
المحبة. وكانت المسحات القليلة بين الأشجار التي تغص الجانب
أفمن من الطريق فتح لكشفة السيارة وبها مشاهدة المناظر الرائعة
لجبال أوزارك في ولاية ميسوري.

- هل يمكننا التوقف قليلا في مركز المراقبة الطيبي؟
نظرت إليه قائلا لأسيتر باسمه، بعد أن كانت خارقة في أحلامها
تركز اهتمامها على الطريق الممتدة أمامها والمناظر الطبيعية الخلابة.
لا يمكن لأحد أن يكون لديه ابن جميل وذكي مثل جون. أنه صبي في
السلابة من عمره، جي الطلعة، ذو عينين زرقاوين وشعر كستاني
ناعم يغطي جبينه، سعيد، نشيط، ويجب الاستفسار عن كل شيء.

المراسلات

Harlequin (Cyprus) Ltd
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 412, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

وقالت تانيا لنفسها بسرور بالغ ان ابنا يتحمل بجميع الصفات التي
تتمناها كافة الامهات لابناهن. وما كان يلفت نظرها دليلاً ان عينه
التيين تشبهها بزرقة سماء الصيف الصافية الدافئة لا تشبهان ابداً
عيني والده جاكيت القولادتين الباردين.

- هل يمكنك ذلك، يا أمي؟

- بالطبع، يا حبيبي، ولكن لفترة قصيرة. فجلستك تنظرنا على
العشاء ولا يجوز ان نأكل عليها كثيراً.

فرح جون بتوافقه امة ولم يتمكن من اخفاء سعادته وحامه
الشديدتين. ولكنها لاحظت ان امرأته يلققه ويرعجه. وقالت لنفسها
انه سرعان ما سيغيرها بكافة التفاصيل. أنفقت تانيا ابواب
السيارة، فيما كان ابنا ينتظرها خارج الصبر على بعد بضع خطوات.
سرحت شعرها سريعاً بأصابع يديها ثم انضمت الى الصبي المشرك
شوقاً للوصول الى ذلك المكان الجميل المسى سامي.

سار الاثنان معا بخطى ولينة نحو تلك الصخرة الرمادية الضخمة
التي تشرف على منطقة شاسعة. كانا شخصين ملتصقين للنظر. الام
طويلة القامة، جميلة القوام، وجذابة تفصح أنوثه. والصبي وسيم
مشيع بالنشاط والعافية، ويمثل الرجولة الحقيقية على نطاق صيق.
وقفا جلس جون على تلك الصخرة الضخمة يراقب الوادي
والسيارات القليلة التي تمر بسرعة، صعدت والدته بضعة أمتار
واستندت ظهرها الى جذع شجرة باسقة.

تأملته طويلاً وهو يقف بهو وجعوان، وكأنه عقيب منوه بلقي
كلمة حماسية امام حشد غفير أو قائد عسكري يائز برأب معركة
واحدة ويوجهها انه يشبهها في امور معينة. قن الطاهر، يندرجون
منفتح الشخصية ومرحاً يجب التمتع بالحياة... والبهو. ولكنه مثلها
يجب أحياناً الابتعاد عن الآخرين والاعتلاء بنفسه ليفكر ويمثل.
وكانت تشعر في اوقات معينة انه جلي أكثر مما هو متوقع من طفل في
السابعة من عمره. وأنه يمثل كثيراً ويمضي فترات أطول مما يلزم مع

الراشدين. ولكنه لا يتحفظ مع رفاقه في المدرسة أو يمد صموية في
كسب الاصدقاء وفي التعامل معهم. اذن، فلا داع للقلق أو
للخوف.

شاهدت عصافيرين يتناحran بمرح وسرور. شعرت بألم حاد في
جميع انحاء جسمها، ورغبت في وضع ذراعها حول نفسها لتشد
بلوة تزيل الألم. كل عصافير مع شريكها... الا هي! ابنا
عصافير في السادسة والعشرين من عمرها بحاجة الى شريك محبه
وتناغم. هنه هي بسط حقائق الحياة... وأقدمها!

تذكرت وصولها الى هذه اللال قبل سبع سنوات وهي تحمل طفلاً
رضعاً على ذراعها. اذات والدته زوجها جوليا لاسير، بقولها
وخبرتها، صورة الطالبة المرافعة وحولتها الى شابة واعية ذات
شخصية جذابة وقوية. وقالت تانيا لنفسها بمرارة انه لم يبق من ذلك
شيء... سوى احتقارها بجليك لاسير الرجل الذي لحمل اسمه.
لم يبرز ذلك ازواج سوى نتيجة انجابية واحدة... جون. انه لها ولا
يمكن لاحد ان يأخذ منها... طالت ابنا لا تزال متزوجة من جاكيت.

- لمي؟

جلست على الأرض وجلس جون قربها، رملت ركبتيها ولصمتها
بلراعها وسألته بهدوء:

- نعم، يا حبيبي؟

- هل حقاً لدي والد؟

لم يعكس وجهها أثر الصدمة الناجمة عن مثل هذا السؤال الا
لحظة واحدة. تسارعت ضربات قلبها، لكنها حافظت على رباطة
جأشها وقالت:

- طبعاً لديك والد.

حقق بها وكأنه يريد احراق عينها للوصول الى عقلها واذاكراها،
وسألها:

- أمي... هل هو حي، يوزق؟

حاولت تلميذاً أن تفحصك، ولكنها لم تتمكن إلا من الانسحاب عندما أجهت قائلة:

- نعم، إنه حي. أنت بنفسك كنت تحضر رسالته كلما أتى سامي البريد. ماذا حدثت على التفكير بأنه ليس حياً؟

- قال لي ذاتي جيلبرت أن أبي ميت أو موجود في السجن، والا كان عاد إلى البيت. هل هو في السجن، يا أمي؟

طوقت كتفيه بلراعتها وضمت إليها لتخفيف من توتر أعصابه، وقالت:

- لا، يا حبيبي، إنه ليس في السجن. إنه الآن في مكان ما من إفريقيا. إنه يعمل مع جدك، ألا تتذكر ذلك؟ ثمة مد كبير أو جسر أو ما شابه ذلك يتم تشييده هناك، وشركة جدك تتولى الإشراف على المشروع. ويعمل والدك جاهداً كي يتأكد بنفسه من أن العمل يسير بدقة والنظام.

أبعد رأسه عن كتف أمه وأكمل بالتزجاج وجهها الحزين، ثم سأفا بتأثر:

- ولكن لماذا لا يأتي أبداً إلى البيت؟ ولماذا لا نذهب نحن لزيارته؟ ألا يريد رؤيتنا؟

حاولت طمأنته ولكنها فشلت في إعطاء الجواب الشافي. قالت له بلهجة مبهمة وغير مقنعة:

- سيعود يوماً، يا حبيبي. لديه أعمال واشغال كثيرة.

- جميع المسؤولين والموظفين لديهم اجازات سنوية. لماذا لا يأخذ اجازة كي يحضر لزيارتنا؟

- لقد أتى مرة.

لم تتمكن من ابتلاعه بأن جيلبرت أن بصورة مفاجئة لتضيق شهر بكامله، ولكنه عاد بعد أسبوع واحد. لم يحبه ودعا، فقال:

- كنت صغيراً جداً. أخبرني جدي بأن عمري آنذاك كان ثلاث سنوات. أنا لا أتذكره إطلاقاً.

سألته بتردد عما إذا كان يبحث هذا الأمر مع جيلته، وكانت مخالفة من أن يكون رده بالإيجاب. فمن شأن ذلك أن يضيف نقطة سوداء أخرى إلى سجلها لدى أم زوجها. هل جون كتيبه وقال:

- لا، لم أبحث ذلك معها. ولكني سألتها عن عمري عندما حصلت حل ذلك القبول العاجي الصغير. أنت قلت لي أن أبي أحضره في كهدية.

تهدئت بازدياد وأكدت له تلك المعلومات بهدوء. عاد الصبي إلى السؤال:

- هل يمكننا زيارته هذا الصيف، بعد انتهاء العام الدراسي؟ ارتبكت... تعلمت... تأثت... لأنها تريد الإيجاد رد مناسب

لرفض طلبه، دون إضافة شيء يزيد من اقتناعه الخالي بأن والده لا يريد رؤيته أو مقابلته. هزت رأسها وقالت له بحدية مصطنعة:

- لا يمكننا ذلك، لأن الوضع السياسي هناك لا يسمح لنا بالقيام بمثل هذه الزيارات.

نظر إليها الصبي بأسى وبحنية أمل مريرة، وقال لها بلهجة الراشدين:

- كنت أعلم أنك ستقولين لي شيئاً عائلاً.

بلغت ثانياً ريقها بعصية وقدمت له اقتراحاً لا يحجبها. قالت:

- يمكننا الليلة أن نكتب له رسالة نستعرض منه بواسطتها عما إذا كان قادراً على زيارتنا لمدة أسبوعين أو أكثر خلال الصيف المقبل.

أزاح جون شعره الذي الفاتح عن جبينه الصغير وأكمل أمه بعينين محملان القليل من الأمل والكثير من الحيرة والالام. ثم سأفا:

- وهل تعتلين أنه سيأتي؟

كانت تأمل في قرارة نفسها ألا يوجه إليها هذا السؤال. ولكن ثباتها الصامتة أن يرفض جليك طلبها، زان واضمححل بمجرد نظرهما إلى وجه ابنتها.

- إذا كان الأمر يمكننا بأي شكل من الأشكال، فلنا متأكد من أنه

سيأتي... وبخاصة إذا كتبت له وطلبت منه ذلك.
لم تحاول ثانياً أبداً لتجميع المراسلة بين الابن والوالد، لأنها لم تكن
راغبة في مشاطرة جون الصغير حبه للرجل الذي تحفظه. كانت تحفز
ابنها على إرسال كلمة شكر إلى أبيه في مناسبات معينة فقط، وذلك
عندما يستلم منه بريداً هدايا الأعياد. هب الصبي وانطلق وقال لها
بسرور واضح:
- هيا بنا! لنلعب إلى البيت.

فيما كانت السيارة منطلقة على الطريق الساحلية، انضمت الأم إلى
ابنها وقالت بهدوء:

- ليريك أن تعلم يا بني أن مجرد الكتابة إلى أبيك لا يعني بالضرورة
أنه سيتمكن من العودة إلى الولايات المتحدة.

ابتسم الصبي بقليل وقال لها:

- أأعرف. ولكنه سيأتي. أنا متأكد من أنه سيأتي!

فكرها التصميم القوي في نبرته بالروابط المشينة بين الابن وأبيه.
ومع أنها تريد كثيراً تجاهل وجود زوجها، إلا أنها لا تفكر على ذلك
من أجل جون. وسمعت الصبي يقول بصدد الموضوع ذاته:

- كنت أفكر بأنه ربما يتصور أنني لا أهتم به. إذا علم بمدى
تشوغي لرؤيته، فمن المؤكد أنه سيأتي.

- وإن لم يتمكن من المعية، هذا الصيف، فربما سيفعل ذلك في
الخريف أو حتى في فترة عيد الميلاد. لا تعلق يا حبيبي آملاً كبيرة على
احتمالية مجيئه خلال الصيف، فلربما عجز عن ذلك.

- ألتقي إن يأتي الآن كي يراه داني جيلبرت ويعرف إن لدي والداً
وأنه موجود حقاً في إفريقيا.

ثم نظر إليها بحماس وسأها بلهفة:

- هل يمكننا كتابة الرسالة فور الانتهاء من المشاهدة؟

شعرت بالأم بمحضر قلبها ولكنها وعدته بذلك فالتفت:

- نعم، بعد العشاء مباشرة.

- وسوف ترسلها بالبريد الجوي كي يسلمها بأسرع وقت
ممكن؟

- نعم، سوف ترسلها بالبريد الجوي.

ظهر الارتياح جلياً على وجه الصبي عندما شاهد سيارة فضية
اللون متوقفة أمام الشقة الكبيرة التي حل أحدث طراز. وقال:

- إنه العم بالريك. لم نره هنا منذ زمن بعيد.

برقت عينها لدى رؤيتها السيارة المألوفة، وقالت له مصمعة:

- كان هنا منذ أقل من أسبوع.

لم يكن بالريك وإبن عم الصبي، مع أن جون يدعو هذا الاسم
منذ أن أصبح قادراً على الكلام. ولا حظت ثانياً أن والد زوجها جلي
في لاميير أحال نفسه إلى تقاعد جزئي ولم يعد يذهب إلى مقر شركته
إلا مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع.

ومنذ ذلك الحين أصبح بالريك وإبن يتولى إدارة الشركة الهندسية
بصورة فعلية مع أنه لم يعين رسمياً رئيساً لها. وكانت ثانياً تشعر بأن
جاني دي لم يتقاعد كلية لأنه ينتظر عودة ابنه الوحيد وتسليمه الشركة
وإدارتها. وتذكرت ثانياً أن جاني دي هو الذي يملك تلك المحاورة
الفاشلة لانتاج جانيك بالعودة إلى وطنه. وقد حصر فعلاً قبل أربع
سنوات لتغطية شهر كامل إلا أنه لم يبق سوى أسبوع واحد. وثألت
عندما تذكرت الجوارح العذائي الذي خيم عليها أثناء تلك
الأيام القليلة. وكيف أنها لم تتمكن من تناول أي حديث هائلي
وهيبت معه... أو حتى أن تشعر بالارتياح لوجودها معه في غرفة
واحدة.

دخل الصبي وأمه الشقة الرائعة الجمال دون إبطاء ولما كان قلبها
يتوقف عن الخفقان بسبب سماعها صوت بالريك القوي في قاعة
الجلوس، خرج الصبي إلى القاعة وهزيلي التحية بصوت عالٍ على
جانبه وعلى صديقه الأسمر الوسيم. ابتسمت ثانياً مريحة بالريك
التي حياها بهودة وحرارة. مدت يدها نحوه بصورة عفوية قليلة:

- اني مسرورة بذلك مرة اخرى، يا بالريك. قال لي جون، لندى مشاهدته سيارتك في الخارج، انه لم يرك هنا منذ اجيال.
ظل قابضاً على يدها بقوة حيناً قال لها بلزنيح وزهر بالعين:
- اذن احسنت بغيلي عن البلدة وكنت تتشوقين لعودتي.
ارادت تانيا الانطلاق من تلك الجملة لاجراء حديث هام معه،
الا ان والدته تدخلت قائلة:

- كنا بدأنا نظن انكما اختفيا. اين ذهبتا انت وجولي؟
كانت جوليا لاسير الشخص الوحيد الذي يطلق على الصبي اسم جولي عوضاً عن جون. وكانت تانيا تحس بان هاتيا تفعل ذلك ليجرد المواقفهما. نظرت الى السيدة الارستقراطية التي تحس يد حفيدتها بقوة، والتي تحب معرفة تفاصيل كافة تحركاتها، وقالت لها يدهو:

- ذهبتا في نزهة قصيرة استغرقت اكثر مما كنا نتوقع. هل أصبح العشاء جاهزاً؟

وقب جاي دي ذو القامة الطويلة والشكين العريضين، الذي يشبه ابته الى حد بعيد، وقال لها:

- كنا على وشك اتوجه الى قاعة الطعام.

- اسمحوا لنا بضع دقائق لاستبدال ثيابنا قبل ان ننضم اليكم.
اخذت يد جون بيدها ووجهت ابتسامة ناعمة نحو الثلاثة الآخرين، وبخاصة الى بالريك. ارتدت فستانها وسرحت شعرها خلال فترة قياسية، ثم توجهت فوراً الى المطبخ وهي تعلم ان جوليا تتوقع حضورها في أي لحظة. كانت تتوكل ان بإمكان العائلة استخدام خياطة او طباخ او بستاني، ولكن منزل جوليا لاسير كان قصرها الخاص. فهي التي تقوم بكافة الأعمال او ترقيب تنفيذها بدقة واعتماد. وقالت تانيا لنفسها ان السيدة لاسير تحب الكمال وتعمل جاهدة لتحقيقه. ليس هناك من عمل إلا وتقوم به على أفضل وجه، مأكولاتها الشهية والطيب مما يتوقمه متلوق الطعام في أفخر

المطاعم وأفضلها. منزلها نظيف دائماً لا يعرف الاوساخ او حتى الغبار، ولو في تلك الامكنة السمتعية او التي لا يراها احد. حديقها جميلة غناء تحظى باهتمام بالغ من سيدة البيت، ولا تسمح حتى لزوجها او زوجة ابنها القيام الا ببعض الأعمال الثانوية فيها. كما هي نفسها فكانت عنوان الأمانة والاعتناء بالذات، لا تترك أي مجال على الإطلاق حتى لتلقد محرق...

وكذلك فان ثمة دلائل متعددة على ان جوليا لم تكن زوجة ومليحة منزل مثالية فحسب. بل كانت أيضاً كما تصصف يدهو وحكمة مع ابنها. لم تساه ابداً عن تلك الشابة التي أحضرها مرة الى البيت قائلاً انها زوجته. لم تعلق على تصرفاتها او تستفسر عن العلاقة القائمة بينهما. كما انها نقلت دون اعتراض او تردد رغبة ابنها في تأمين غرفتين منفصلتين له ولزوجته. لم تقل شيئاً مزعجاً لتانيا عندما ذهب ابنها بعد بضعة ايام من احضار زوجته الى البيت، لو طوال السنوات العديدة التي تلت رحيله. ومع ذلك، كانت تانيا تشعر بان جوليا لا تتحمل وجودها في البيت الا بسبب جون... الذي أصبح محور حبيها واهتمامها ووعايتها. كانت تحس دائماً بشيء من الرارة في صوت جوليا كلما تحدثت اليها. لم تشعر ابداً بان تلك السيدة التي تعيش وليها تحت سقف واحد تكون لها أي حجة او صداقة.

لما والد جايك، جاي دي لاسير، فهو مختلف تماماً. قالت تانيا مرة بسخرية لأدعة ان بإمكان جايك ان يسحر الأنفوس. وما التفت جاي دي، علمت ان زوجها ورث تلك الشخصية الساحرة الجذابة عن والده. الا ان الوالد كان أكثر لداقة وفتحاً مع مشاعره وأحاسيسه. عندما أتت الى البيت للمرة الأولى ومعها جون الصغير، أعرب جاي دي صراحة عن تشككه بها واعتراضه الشديد على زواج ابته منها. لم يكن لدى تانيا كفى شك في ان جاي دي رجل قوي يعتبر كلامه أوامر عسكرية، كما انه رجل أعمال خلاق الذكاء وغير معترف به في حلقه. ولأنه صاحب قدرة فائقة على تحليل الشخصيات

والصفات ، فقد لاحظ تحولها من فتاة خرجت شوها من المدرسة ولا تعرف الكثير عما يدور حولها الى سيدة شابة راقية ذات شخصية قوية وذكية.

وبدأت معارضة ما تحول تدريجاً الى احترام واحتراب . مدّ لها قبل خمس سنوات يد صداقة هائلة . ومع انه لم يسألها ابداً عن علاقتها مع جاكي ، كانت تشعر بأنه يعرف الظروف التي ساعدت بزواجها . انه لا يعرف بالطبع الحقيقة كاملة ، فذلك امر لها وحدها وهي تحافظ عليه حفاظاً على ابنها . ومع ذلك ، فذاك جاني دي وعاطفته الغياضة جعلها اقلتها في ذلك البيت امراً يمكن تحمله . الا انها كانت على استعداد للعيش في اي جحيم يمنح ابنها اسماً وجائلاً ، ومستقبلاً .

كانت جوليا جهزت المائدة ووضعت عليها أطباق الصنف الأول ، عندما وصلت تانيا الى المطبخ . اختلعت منها الوضوء مأسورة ، الا ان سيدة المنزل تغالت التعليق على ذلك ودعها مع الآخرين الى تناول العشاء . وفيما كان جون يحاول الجلوس قرب جدته ، كان جاني دي يمسك كرسي تانيا ويساعدها على الجلوس نادياً واحتراماً . ابتسمت تانيا للرجل الجالس الى الجناح المقابل من المائدة ، وشعرت بسرور بالغ عندما وجه اليها ابتسامة محاللة وقال :

« انت تبدين رائعة في هذا القفصان . وهذا لا يعني انك لست رائعة عندما ترتدين أي شيء آخر .

نظرت الى وجهه الواسع وتأملت بسرعة ملامحه القوية البليزة . ثم قالت له بصوت داني : وضجة مهذبة :

« أنت كريم النفس الى درجة كبيرة . ولكن الفتاة تحب سماع مثل هذه الكلامات ، سواء كانت غير صحيحة .

تبادلا النظرات الحادة التي تحمل معها الكثير من المعاني ، والتي لا يمكن تجاهلها . كان جاني دي وجوليا يقومان باستمرار بحفلات مختلفة لكبار السن ولذين في الشركة . وأصبح من المتعارف عليه ان تكون تانيا

وفيقة باتريك في هذه المناسبات . فزوجها موجود في القريب الى أجل غير مسمى ، وباتريك مطلق منذ ثلاث سنوات ولا يمكن العودة الى زوجته لأنها تزوجت رجلاً آخر . حاولت تانيا ذاتها الحد من مشاركتها واحاسيسها تجاه هذا الرجل الواسع والجذاب . وعلى الرغم من انها لم يتفوها بأي كلمة سرية أثناء المرات القليلة التي التقيا خلالها عن انفراد ، كانت تانيا تعلم ان العلاقة بينهما ليست ذات صداقة علوم بين شخصين عذوبين . كان كل منهما يشعر بوجود الشخص الآخر الى درجة كبيرة ، ولكن اختلافها وتباعدتها المتعاقبة لم تسمح لها بتبيان خاتم الزواج وقسم الاخلاص والوفاء . . . يقص النظر عن تصرفات الرجل الذي علمت النفس على حل حياته واسمه سائله يهلوه .

« اخبرني ، يا باتريك ، الى اين ذهبت هذه المرة ؟ لم اعرف انك كنت غائبة عن البلاد .

« كانت رحلة مفاجئة الى اسكتلندة . ثم توجهت الى غرب افريقيا .

« احسن جاني دي بالانقاص الطفيف الذي شعرت به تانيا ، فتدخل قائلاً :

« من القوانين المتبعة في هذا البيت ، يا باتريك ، ان جوليا لا تسمح للرجال ان ياتوا الى مائدة الطعام بالتحدث عن امور العمل .

ثم ابتسم لزوجته وقال لها بمرح ، محاولاً تحويل الاهتمام الى موضوع آخر .

« لا يمكن لأي انسان ان يحول انتباهه الى امور اخرى وهو يقف دون هذا الحساء الشهى لذيذة . انه حقاً رائع . كالعادة . الا ان جون أعاد المسألة الى نقطة الضعف عندما سأل بحداس واضح .

« هل قلت انك ذهبت الى افريقيا ، يا عمي باتريك ؟

تدخلت تانيا بسرعة وقالت لابنها :

« جون ! ألم نسمع ما قاله جديك ؟ انتظر حتى تنتهي من تناول

- حسناً، يا لمي.

شعرت تانيا بأن اهتمام ابها القاجي، بأبيه سوف يتغير بسرعة، ويحجره إخلاء الطائفة من صحون الخنوي. لم تكن على استعداد أبداً للاعتراف أمام بقية أفراد العائلة بعزمها على توجيه رسالة إلى جايك لحث على العودة. نظرت إلى جوليا فلاحظت انزعاجاً طفيفاً. تصورت أنه ناجم عن تحذيرها بقسوة لا يمر لها مع ابها الصغير الذي لم يكن يريد إلا أن يسأل عن والده. اعترفت لنفسها بأن هذه هي الحقيقة، ولكنها لم ترد أن يفسد لها ذكر اسم جايك حفلة العشاء الخاصة. عاد جاي دي إلى الحديث بأسلوبه الذكي:

- قبل وصولكم أنت وجون هذه الليلة، كنا نبحث احتمالات إقامة حفلة عشاء صغيرة بمناسبة عيد زواجنا الخامس والثلاثين.

قالت له تانيا موافقة:

- اعتقد أنها فكرة ممتازة.

- إن مسرور لسامع ذلك. ظنت جوليا أن إقامة حفلة في منزلنا بمناسبة عيد زواجنا فكرة سيئة، مع أنها عادة تسعى بكل جهنمها لإقامة الحفلات.

ابتسمت تانيا ووجهت كلامها إلى والدة زوجها قائلة:

- إذا سمح لنا الطقس، يا جوليا، فإن بإمكاننا إقامتها في الحديقة حيث تكون جميع أرزاق الربيع في أروع حالة وأجملها. أتصور أن ذلك سيكون أفضل بكثير من إقامتها داخل البيت.

- وسوف تعدين لنا ذلك النوع من السمك الذي يحبه زوجك كثيراً.

هيمت موضوعات الصيوف وأطباق الطعام وكيفية تجهيز الحفلة على أجلايت الراشدين الأربعة. وفيما كانت جوليا تقدم القهوة، رن جرس الهاتف في غرفة الجلوس. ولما علمت جوليا من المتحدث أنه يريد التكلم مع جاي دي، بلغته بذلك وطلبت إليه إحضار فنجان

القهوة معه. ولأن جون الصغير ذهب قبل ذلك إلى غرفته، ظل باتريك وتانيا وحدهما. . . حل انفراد. ساكنه بشيء من العصية:

- قل لي، يا باتريك، هل التقيت جايك عندما كنت في أفريقيا؟

نظر إليها بسرعة وكأنه يحاول تجنب نظرانيا الحادة، وقال:

- نعم، نعم، التقيته هناك.

- كيف يسير ذلك المشروع الذي يعمل فيه؟

كانت تعرف تماماً أنها تفضي هذا السؤال، ولذلك كي تعلم منه فرص قبول جايك الدعوة التي ستوجهها إليه للعودة إلى البيت. سألتها باتريك ببرودة:

- أي منها؟ الذي بدأ به أم الذي أخذته قبل فترة وجيزة؟

احتست بلزيت عظيم وتهدت بقوة دون أن تدري. ثم قالت:

- لم أعلم أنه يعمل على مشروعين مختلفين. من المؤكد الآن أنه منهمك جداً في العمل.

- لوني فانقرز مساعد غير جداً، ولكنه لا يزال يتحتم على جايك

التنقل دائماً بين مراكز المشروعات. هذا في الوقت الحاضر، على الأقل.

سرت تانيا كثيراً بعودة جوليا لأنها التقدها من الاضطراب لشرح الأسباب التي تحذوها لتوجيه مثل هذه الأسئلة. وكان واضحا أن باتريك على وشك الاستفسار عن سبب اهتمامها القاجي. دخل جاي دي بعد لحظات من عودة زوجته، ثم ابتسم باعتدال لتانيا وغرق في حديث هام مع باتريك حول شؤون العمل. وفيما بدت جوليا منمكة في ترتيب بعض الأمور، راحت تانيا تراقب بالاهتمام الرجل الذي تعرفه منذ بضع سنوات. . . وبخاصة لأن عودة جايك إلى الولايات المتحدة بدت الآن غير قريبة المطلقاً.

لاحظت تانيا خلال سنوات إقامتها مع جاي دي وجوليا أن عندما كبيرا من الأشخاص يحاولون استغلال ثروتهما ونفوذهما. إلا أن أحد الأمور الأولى التي أصعبتها في باتريك رايت كان رفضه المزاحمة مع

جاني فني او توجيه كلمات الاطراء الفارغة له . كان سيد نفسه ولم
 يتردد مرة في الاغراب عن وجهة نظر مناقضة لأفكار رئيسه . . .
 والاصرار عليها . ولكنه لم يكن مستقلاً تماماً بحيث أنه يطلب نصيحة
 الكهول المحنك والاستفادة من خبرته . . . اذا شعر بأنه ضرورة
 لذلك . ولاحظت ذاتها ايضا ان ما يجلبه في ذلك الرجل الوسيم لم
 يكن مجرد الذكاء الحكيم والجدية الساحرة . وطفلة احست بيد صغيرة
 تلمس كتفها . وبصوت ناعم يقول لها :
 - هل يمكنك الذهاب لاعدادها الآن . يا أمي ؟
 - سألته بصوت مرتفع قليلا لفت انتباه الرجلين :
 - تلعب وتعد ماذا . يا حبيبي ؟
 - أريد ان اكتب رسالة ان أبي اعطى فيها مهارة الحضور الى البيت
 بمجرد حصوله على اجازة .
 تأملت ذاتها زهوة واعتزازها . لها احترمت وجنتها حرجاً عندما
 شعرت بأن جون الآخرين مركزة عليها . لم يكن بالترك يعرف شيئاً
 عن العداة المستعكم بينها وبين زوجها الا اعتراضاً . أما والداها
 فكانا يعرفان الحقيقة . وانظرا بالثاني رد فعلها عن جهة ابها .
 تدخلت جوليا بحزم قائلة :
 - اعتقد لنا فكرة مثيرة . يا جوني .
 كانت غيبتها مثيرة بالتحدي ذاتها . فكيف يمكنها بعد هذا الكلام
 الا ان توافق ؟
 انسمت بصعوبة وقالت يبدو بالغ :
 - والا أيضاً يا جوليا . والألمة كنت المرحت ذلك على جون .
 لم تكن راقية في متاعه النقاش او الرد على أي أسئلة قد تكون
 مخرجة . وقتت وأمسكت بيد ابها ثم خرجت ولها يبدو من قاعة
 الجلوس . ولما وصلا الى القاعة الصغيرة المخافة لقرعة نومها . سألتها
 جون بتردد :
 - تريدان كتابة الرسالة . أليس كذلك ؟

انسمت له وهي تحاول اخفاء امتعاضها . ولكن لماذا القلق ؟ ألم
 تقوم من بالترك ان ثمة احتمالاً ضئيلاً في امكانية حضور جانيك او
 قدرته على ذلك ؟
 - نعم . يا حبيبي . سكتها معاً .
 بحث جون في جيب قميصه وأخرج صورة فوتوغرافية
 قائلا :
 - يمكننا ايضا ارسال هذه الصورة اليه . أعزها لي جدي عندما
 حصلت على دراجتي الجديدة . أريد ان يعرف أي كيف يبدو هذه
 الأيام .
 لم يكن جون وحنه في تلك الصورة . بل كانت هي معه أيضاً .
 كان شعرها المنهي يظهر في الفراء . ويبدو كجدي أولى سيدات
 المجتمع . لم تكن راقية في ارسال تلك الصورة . مع ما في ذلك من
 غرابة . قالت له يبدو ورقة :
 - توجد مع والدك صور لك اخذت في للدرسة .
 - ولكنني لا أشبه نفسي فيها وكنت فاقداً أحد اسامي . جرجوك .
 الا يمكننا ارسال هذه الصورة الجديدة ؟
 كانت عينا الزرقاوان الجميلتان نظران اليها بتوسل واستجداء .
 وأحسنت بأنها لا يمكن ان ترفض طلبه . . . منها كان . واعترفت
 لنفسها بأن جون أصبح في سن يحتاج معها الى وجود رجل يساعده
 ويرشده . . . هذه هي مسؤولية والده قبل كل شيء . . . كانت تشعر
 بالذنب لأنها حرمت ابها من أبيه . ولكن ذلك الشعور زال من
 تفكيرها بعد ساعة من الزمن . عندما كانا ينيان رسالتهما الى
 جانيك . كانت رسالته مثالية قليلة مهذبة لأبيه للحضور الى البيت
 جانيك . كانت لصل الصيف . اما رسالتها هي فكانت بسيطة وخالية من أي
 مشاعر وعواطف . ذكرت له فيها ان جون بدأ يشكك بجدية بأن له
 والداً . مضيفة بأنه ربما كان من الأفضل حضوره لبضعة أسابيع اذا
 سمحت له أعماله بذلك .

وفيها كانت تلصق الطوايع البريذية الطفولية، أحست بوجع
الضمير، أنها تحقر جانيك لآسيتر بسبب ما قام به في الماضي.
ولكنها، من أجل جون، مستعدة لتحمل وجوهه بضعة أسابيع...
هذا إذا أن. وكانت تشعر بصورة شبه مؤكدة أنه... لن يأتي.

٢ - حفلة المفاجآت

نظر إليها أنها بالذات، وفيما كانت تهم له جهنم التلفزيون
التيان فوق مكتبه صديق في غربة غريبة، وقال:
"أنا، حيلة وأرشف، يا أمي."
- هل يحبك القستان؟ اشتريه عصبياً لمصور حفلة الليلة
مناسبة عيد زواج جديك.
نهذه العشي وقال:
- إنه رائع. لوه، كم اتنى حضور هذه الحفلة!
- ولصور أيرامج التلفزيونية التي لن تراها. اعتقد أن قبلم الليلة
هو عن رحلة البحر.
- حقا؟

قائلاً بحماسة ظاهرة لأنه يحب هذا النوع من الأفلام السينمائية،
في حين أن معظم اليرامح الأخرى لشجره وزعرجه. ابتسمت له
والدته وقالت:

- اعتقد أن بعض الضيوف وصلوا بالفعل. سوف نكون على ما
يرام، اليس كذلك؟
- بالتأكيد.

- نطقاً الأنوار في تمام العاشرة. سأعود لأتأكد من ذلك.
ابسم جون لأنه فيها كانت تغادر غرفته. وقال لها:
- حسناً، يا أمي. في العاشرة وخمس دقائق سأكون غارقاً في نوم
عميق.

كان جون يشعر أنه لم يعد بحاجة لمن يضعه في السرير ويساعده
على النوم، مع أن أباه من قبل لم يكن حقاً راضياً في التنقل عن تلك العادة
الرفيعة.

كانت الغرف التي تستلمها ثانياً وجون موجودة في جناح
متصل خصص أصلاً لاستقبال الضيوف. وكان ذلك الجناح كشقة
مكتملة لا ينقصها شيء سوى المطبخ، الأمر الذي يمنحها حرية
التصرف والتنقل دون إزعاج من الآخرين.

وكان البيت ذاته، الذي من الحجارة والأخشاب على طراز بيوت
المزارع الأميركية الكبيرة، يقع على قطعة من الأرض تمتد كإصبع في
بحيرة تايمل روك. وكان أمامه حوض خاص به ومبنى ليحت
العائلة. لم تكن هناك بيوت قريبة، لأن جاني ذي إنتاج قطع الأرض
المجاورة لبعض نفسه وعائلته الاعتماد عن الضييع وزرع
الجيران. وكانت أي دعوة لحضور حفلة هناك تعامل باهتمام بالغ
وليس دون تردد. ولذا كان الترتل وحديثه يجلبان بالضيوف تلك
الأسببة.

في جرس الباب طالت ثانياً لجوليا القادمة من المطبخ أنها ستفتح
الباب وتستقبل القادمين. دخل بالتريك وأبرز معه فتاة جميلة ذات

شعر اسود داكن تزين أصابعها بثلاثة خواتم جميلة. مدت ثانياً يداها
لمصافحة شقيقة بالتريك قائلة:
- شيلا أنا مسرورة جداً لتتمكن من الحضور. فستتلك رائع
للغاية.

نظرت إليها شيلا مقبلة شكلها، وفي عينها شيء من الحسد و
نظرة أخرى لم تكلمها ثانياً، وقالت لها:

- إنه فستان تمس جداً بالفاترة مع فستانك انت، يا ثانياً.
كانت شيلا أصغر منها بأربع سنوات، إلا أن ثانياً لم تشعر أبداً
بأنها مقبولة لدى شقيقة بالتريك. وأصبحت بالمرحمة كان عليها الليلة
أن تستقبلها بيروعة وكبرياء، لأن نظرات الفتاة الأخرى كانت أشد
قسوة مما في السابق. وفيها لاحظت ثانياً أن بالتريك برافق باهتمام
واعجب فستانها الجميل وفتحة العنق الكبيرة إلى حد، سمعت
يسألها:

- أنا لم نأخر كثيراً، اليس كذلك؟

- لا، أبداً. الآخرون موجودون في الحديقة.

خرج الثلاثة معاً من الباب الزجاجي، فاعتذر جاني ذي من
الشخصون الذين كان يتحدث معها وإلى الترحيب بالقادمين
ابعد. حضرت زوجته بعد دقائق قليلة ومعها طين جديد من
القبائل الشبية التي أعدها بنفسها.

وامضت ثانياً الدقائق الثلاثين التالية منهكة في فتح الباب
الرئيسي واستقبال الضيوف، بالإضافة إلى مساعدة والدته زوجها في
اعداد الطاولة الكبيرة واستبدال الصعود بأخرى مثقلة... عندما
اقرب منها بالتريك وطالبها بالجلوس معه على أحد المقاعد الخشبية
المتشرة في أرجاء الحديقة. وضع ذراعه على الوسادة الخلفية
للمقعد، وبشكل قريب جداً من كتفها. أحست بشيء من
الانزعاج إلا أنها حافظت على رباطة جأشها ولم يظهر على وجهها ما
يدل على حقيقة شعورها.

- لا اعرف لماذا لا يستخدم الرجل المجهز لشخصاً متخصصين
باعداد الحفلات وخدمة الضيوف. الا يوفر ذلك عليك، انت
وجوليا، الكثير من التعب والارهاق؟
تهدت نانيا وقالت له:

- ولكن الفضل في نجاح حفلة لن يعود عندك لجوليا. هذا كلام
قاس، ولكنه صحيح. لنحى او احضر جاني دي فريقاً متخصصاً
قائماً مستصر على مراقبة كل خطوة نفسها. هذه هي طيبتها.

- وما هي طيبتك انت؟

- طيبتى انا؟

توقفت لحظة وتطلعت نحو الاشخاص الأربعين الذين كانوا
يسرحون ويمرحون في الحديقة، ثم اضافت بهدوء:

- كنت على الأرجح سادس اربع هذا العدد واشوي لهم شرائح
اللحم على الفحم.

ابتسم باتريك وقال:

- انتظر منك دعوة الى حفلتك الشائعة. انها ستكون بالتأكيد رائعة
ودافئة.

- سأفعل ذلك.

لم تعد تنحمل النظر الى عينيه وفيه، فادارت وجهها عنه وقالت:

- ايا احبة جملة للغاية، أليس كذلك؟

- جداً، واختيار هذه المقطوعات الموسيقية موفى انى حد بعيد
ويدل على ذوق رفيع.

استمعت نانيا بإتقان الى المظروعة الحادثة الحادة، ونمت من
صميم قلبها ان يضمها وجل الى صدره... ولو لفترة قصيرة. وكان

باتريك احسن مما يدور في رأسها، سألها بتعومة ورقة:

- كم من الحواجب تظنين مشرئع استغراباً ودهشة اذا رقصنا في
تلك الزاوية قرب مكبرات الصوت؟

- ربما جميعها.

امسك بيدها ثم قال لها وهو يبتسّم قائلاً:
- لنجازف.

تصورت نانيا انهما يرقصان وراه جدار مسجري يصد نظرات
الأخرين عنهما. الا ان اسداً لم يتطلع نحوهما، باستثناء شيلا.
وتساءلت عن آخر مرة كانت فيها بين دراعي رجل، فلم تجد
الجواب. لم تعرض على ضمها اليه بقوة، لا بل انها ارادت لقاء
رأسها على صدره. ولكنها امتعت عن ذلك، مع انها سمحت ليدعا
بالوصول الى ما بين كتفيه.

- نانيا!

ايظنها صوته الناعم من احلام اليلطة فرفعت رأسها ونظرت الى
وجهه البرونزي الجميل. كانت قريبة منه الى درجة خطرة وكان
وجهها يشع ببريق السرور والارتياح.

- انتك رائعة الجمال.

احسنت بأن قلبها يلغوص في مكانه. وشعرت في لحظة الضعف
تلك انيا تريد نسيان عهد الوفاء والاعلاص الذي قطعه على نفسها
قبل سنوات عدة. ولكن اللحظة مرت بسرعة. وفتت اصيحها الى
فمه وقالت له:

- باتريك، لا تقل شيئاً.

امسك ياصيحها وقبله بحنان، ثم قال لها وهو يتأمل حينها
الحاليتين:

- لم اقل شيئاً عند أكثر من ستة. ولكن... هل من الضروري ان
اقول شيئاً؟ انت وانا شخصان راشدان وليس علينا ان نلعب او
نناور.

كيف يمكنها ان تجد له طريقة مقبلة؟ من المؤكد انه سيذكرها بان
زواجها ليس الا كلمات قليلة مسجلة في كتاب...

- يجب الا نقول شيئاً، ارجوك. لن تمكن من اقتناعي بأي امر.
نظر اليها بحنان وقال بلهجة القرب الى المشاهدة منها الى الدعوة:

- تناولني معي العشاء في الاسبوع المقبل. سألتك في أي مكان
تخترين.

هزت رأسها نقياً وأدنت له بلهجة ضعيفة مريكة:
- لا... لا يمكنني ذلك.

عيم الصمت يضع لمحات قاسية ثم سألهما يدخلون حزين:
- هل كنت خطأك في تلديري للأموار؟ إلا أصعبك؟

انتهت المقطوعة الموسيقية في تلك الآونة، فصحبت نانبا نفسها من
بين ذراعيه الشين لم تقاوما خطواتها. احسبت بأنه كان عليها
الاضمحام إلى بقية اللدهوين. ولكن الغناء حل ما يبدو منعها من
وضع حد لتلك الحديث الذي لا يجدي.

- وهل يعقل ألا تعجب أي امرأة؟ أنك رجل قوي ووسيم
وعازب... صفات لو اجتمعت في رجل واحد، لو وجدت أي امرأة
صعوبة فاققة في مقاومتها. أي أجلك جذاباً للغة، يا باتريك. ولهذا
السبب بالذات، ارفض الاجتماع بك خارج محيط هذا المنزل.
سألهما بلهجة غاضبة قليلاً:

- ما هي هذه السيطرة المجنونة التي يملككها جايك لاسين؟ ماذا
تخافين من رجل لم تشاعديه سوى سبعة أيام من أصل سبع سنوات؟
كانا لا يزالان واقفين في تلك الزاوية الصغيرة، بعيداً عن بقية
الضيوف. قالت نانبا لنفسها إنها غير قادرة على الإفصاح عن السبب
الحقيقي لزواجها الفشل، حتى لباتريك الذي أصبحت تحبه إلى
حد. تهدت وقالت له بحزم وقوة:

- ليس لجايك أي سيطرة علي. أنا أقرر مجرى حياتي بنفسني.
- وليس لي الحق بالتدخل في شؤونك، حتى ولو كنت راعياً في
جعلها شؤوني أنا أيضاً؟

عصمت نانبا في مكانها وشعرت بأنها وحدها وليس هناك من
تستند إليه. ولكن باتريك رجل قوي جداً، قوي إلى درجة كبيرة.
فلماذا لا تستند إليه؟ أظنك شفيها بقوة كيلا تصدر عنها كلمات

الاستسلام والضعف. اقترب منها وهو يقول لها بصوت دافئ ولهجة
معتقة مفعنة:

- جون بحاجة إلى والد حقيقي، وليس إلى والد بالاسم... كما
هي الحال مع جايك.

ودت عليه بصوت مرهف يشوبه القلق وعدم الثقة:

- أنت لست متصفاً في كلامك هذا يا باتريك.

- كل الانصاف، يا نانبا.

- اعذولي، يجب أن انتعيب إلى غرفة جون لأتأكد من ذهابه إلى
النوم.

تركته بسرعة لأنها خافت من الاستسلام لتلك الاغراء القوي
الذي كان مسلطاً فوق رأسها. وما أن وصلت إلى الباب الزجاجي،
حتى اعتراضها جوليا قائلة:

- أنا بحاجة للمزيد من قطع الثلج، فهل يمكنك إحضارها لنا؟

- أنا سأحضرها، لأن نانبا ذاهبة الآن إلى غرفة جون.

استغربت نانبا لأنه لم يكن إلا على بعد خطوات ورائها. شكرته
جوليا باسمه ثم قالت لزوجة أبيها:

- قفني جون عني واخبريه أني ألقى له ليلة سعيدة وهاتئة.

- سأفعل ذلك يا جوليا.

مضت جوليا في سبيلها، فالتفت نانبا إلى باتريك وقالت له:

- توجد أكياس جاهزة في التلاجة. أظن أن أربعة منها تكون كافية
في الوقت الحاضر.

استدارت نحو غرفة الصبي، ولكن باتريك أمسك بذراعها
وحسبها إلى إحدى الزوايا حيث ضمها بقوة إلى صدره. تحركت
شفتاها اعتراضاً واحتجاجاً. ولكن دون جدوى. حسبت لنفسها ولم
تقل شيئاً عندما سمعت بهند يسرور وإرباع. أمسك رأسها بيديه
الموئنين ورفع وجهها نحوه، ثم قال متمتاً:

- من المؤكد أن جايك فقد عقله كي يترك امرأة جذابة ورائعة

مثلك بعيدة عنه.

نعم أنا مجنون لاني فعلت ذلك!

شهقت تانيا مدهورة وسلخت نفسها بسرعة من بين ذراعي باتريك. عرفت على الفور ذلك الصوت المتفطرس المهن، الا انها ظلت تعلق مدهولة بصلابه وهي لا تصنع حينها او اقتنها. وسمعت باتريك يقول:

انت تركتها منذ زمن بعيد، يا لاسيتر. انها لم تعد لك.

لم يعلق جايك على هذه الكلمات بشيء، ولكنه ابتعد عن العمود الذي كان يستند اليه ووقف في مكان اكثر انارة. كانت تانيا ثرائيه وهي تشعر بخوف يمد حلقها، ولكنها لا تعرف تفسيره او وصفه. بدا لها اقوال واتصم مما كانت تتصوره وتذكره. نظر اليها بعينين غولانيتين باردين وقال لها بلهجة الأمر:

تعال الى هنا يا تانيا.

انزعها ظهوره الفاجيء للدرجة انها لم تعد قادرة على التفكير او التصرف. اقترمت منه بخطوات بطيئة، ثم توقفت وراحت تتأمل وجهه والتغيرات التي طرأت عليه طوال السنوات الأربع التي لم تره فيها.

كان الوجه رقيق واكثر نحولاً، ولكن اللامع افسى واشد تعساً. حلت تجارب الحياة المرهقة على النعومة والنعارة، الا انه لا يزال وسيماً وجدياً للغاية، ورجولته طافية على كل شيء اخر. كان يتألمها ويتفحص وجهها وملاحظها بدقة ماثلة. لم يرفع نقره عنها عندما قال لباتريك بسخرية لاذعة:

يمكنك الذهاب الآن يا ريتير.

اخرجها صوت انقار الباب الزجاجي من صدمتها، فقلقت له بالتمترار.

لم يتغير شيء على الاطلاق.

اسك كتفها بقوة وتشم بقسوة، فيما كان يفرز اصابعه في

جسمها:

ايها المرأة اللعينة! كنت اتوقع من زوجتي استقبالا افضل بكثير من هذا الاستقبال البارد!

ضمها اليه بعنف ثم اسك يديها القتين كانتا على وشك الانقضاض على عينيه. وضع ذراعيها وراء ظهرها ولم تتمكن من المحاولة على الرغم من محاولاتها اليائسة. كان يتلذذ بالذاتها وابلامها. ثم تركها فجأة وفي عينيه نظرة ارتياح وسعادة لأنه انتصر عليها بمثل هذه السهولة والبساطة. ضحك بصوت عال عندما رأى نظرات الحقد للنهاية في عينها واسأها ساخراً:

ما بك؟ ألم اكن تانياً ورفيقاً مثلاً؟

بصقت في وجهه وصغمت على خدعة بقوة صارخة:

حيوان! متوحش!

قبض على يدها الجاتية بعصبية وعنف. وضغط على اصابعها بوحشية حتى كاد يقطعها، فيما اسكت يده الاخرى بشعرها واحش رأسها امامه قائلاً:

كنت اعرف ان هذا الرقي الذي تتظاهرين به، ما هو الا حجاب شفاف تخفين نفسك الحظيكة وراءه. انك لا تزالين تلك الفتلة المتوحشة ذاتها التي احضرتنا الى هذا البيت قبل سبع سنوات. صرخت به والألم يكاد يفقدتها وعيها:

دعني اتركني!

اتركها يا بني.

سمعت تانيا صوت جاري دي الناعم المنقل ياتي من جهة الشرقة. ولكن الانفذ لم يأت سريعاً، لأن جايك قال تولده بظفرمة ساخرة:

بعد قليل، يا أي. اريد التأكد من ان زوجتي تعرف قيمة وجودي في البيت.

خفف قليلاً من ضغطه على اصابعها ورأسها فالتزكت انها سوف

تتحرك خلال الحظلات من معاملته اللانسانية. وما ان احدث نفسها

للأفلاط من قبضته حتى عاد يشيعها إليه بعنف وشدة. لم تستجب له ولكنها لم تقاوم. اشتعلت نار الرغبة في داخلها... أنها تريد! ولكنه إنسان لا يطاق... أنه ليس إنساناً! أبعد وجهها قليلاً ثم وضع أصبعاً على أفها وقال مداعباً يخبث أثر غضبها:

- هكذا يتم استقبال الرجل العائد إلى بيته، يا حبيبتي.

لم تتمكن من الرد عليه، لأنه مشى نحو والده وهو يقول:

- أنت مسرور بعودتي يا أبي.

تأملت ثانياً العناق الخلاب بين الابن وأبيه، فيما كان جسمها يرتجف حقناً وغضباً.

- لا يتركك، يا بني، تصور مدى سعادتي برؤيتك. تأخرت كثيراً

في العودة يا جانيك.

- كان هذا الموضوع يفض مضجعي كثيراً خلال النومين

الماضيين. وتأكدت لي هذه الليلة، أكثر من أي وقت مضى، ضرورة

العودة.

رفقت الرد على اشارته المؤلمة إلى ما شاهدته قبل لحظات، عندما

كانت مع باتريك. وما زاد من حدة غضبها انصرفت أنها لاحظت

من طريقة معاملته لها أن جانيك لم يكن يحرس كناسك متعب بعيد عن

النساء.

- ستكون الوليدة سعيدة جداً برؤيتك.

ثم هز جاني في برأيه مرة أخرى وكأنه لم يصدق بعد عودة ابنة،

وقال بصوت خالب عليه التأثير:

- اللعنة على هذه الحفلة! كم اتقي لو أن باستطاعني إرسال جميع

الضيوف إلى بيوتهم.

اتسم جانيك وقال لوالدته:

- وكنت أظن أنك ستعبر لعراق ترحباً بعودتي.

- طبعاً كنت سأفعل ذلك. هل كنت تعرفين، يا تاني؟ هل هذه

هي هدنة عيد زواجنا؟

كل ما يبدو سعيداً للغاية، ولكنه كان يتألمها بتخصص للتأكد من أنها لم تصب بأي أذى نتيجة تصرف ابنه القاسي. وجهت إليه ابتسامة خفيفة ولكن صادقة ومخلصة في حرارتها، ثم قالت:

- كانت مفاجأة لي بقدر ما كانت لك.

- هذا صحيح، يا أبي. وربما كنت متفاجئاً أكثر وأشد.

شاهدت ثانياً القصة التولادية تشع في عينيها، فظرت إليه بتجد

شجاع. تحت غاضبة لو أن بإمكانها إيجاد وسيلة لإيذاء هذه

التعليقات ازدوجة المعنى، دون النزول إلى مستوى الرد عليها

بالكل. أحس جاني في بتوتر الخوينة، فاقرب منها ووضع ذراعه

بحنان على كتفها قائلاً لابه:

- زوجتك جوهرة حقيقية، يا جانيك. وذلك الصبي ابنك...

أوه، أنه رائع... ويحملنا شعرنا ووالدك بأن في عمر الشباب.

فتح الباب الزجاجي فجأة، فتحوّل العيون الست إلى السيدة

القادمة من الخديفة. اتسم جانيك وقال لها بهدوء:

- مرحباً يا أمي.

فرحت جوليا لا يسيطر عليها غناً منها أنها في حلم، ثم تقلعت

نحوه بشمل وهي تردد:

- جانيك! جانيك! جانيك!

- ها قد عدت يا أمي. عود سعيد.

طوق الوليدة السعيدة الابنية بذراعيه، ووجه إليها ابتسامة داعية

ومسرة قائلاً:

- كفى بك يا أمي. لا أريد أن تشوه الدموع وجهي أحمل أم في

الندى.

اتسمت الأم بحنان وقالت:

- أمي سعيدة للغاية. متى عدت؟ هل كنت تعلم بعودتي يا جاني

هي؟

- لا يا عزيزتي، لم تكن لدي أي فكرة على الإطلاق.

طبع جانيك قبلة طويلة على عهد والدته الشبل بالدموع وقال:
- لم أبلغ أحداً بعمودي، خافه حلوث شيء يمنع ذلك.
نظرت جوليا بسرعة إلى ثانياً وكأنها تسأل عما إذا كانت الزوجة
الشابة سوف تحمله على الذهاب مرة أخرى. وسأله يدهو حنقاً:
- ستبقى طويلاً هذه المرة، اليس كذلك؟
- لا أعرف بالتأكيد.

- لوه، جانيك، ارجوك يجب أن...

وضع جاني دي فراعه على كتف زوجته وقال لها:
- أعدائي قليلاً أبنتها العزيزة. لتترك بحث هذه الأمور إلى وقت
لاحق، ونكتفي الآن بالشكر والامتنان لأنه تمكن من المجيء.
بدأ ثانياً أن أفراد عائلة لاسير الثلاثة يشكون دائرة تقع هي
خارج محيطها. كانت تعرف دائماً أنها لا تنتمي إلى هذه العائلة إلا
بالاسم، وأن أفراد العائلة لا يتحملون وجودها إلا بسبب جون.
وقالت لنفسها أنها لا تريد منهم أكثر من ذلك...

هيئت جوليا على الحديث، فاستجبت ثانياً بهدوء متعللة
بالذهاب إلى غرفة جون للأطمئنان إلى نومه. توجهت إلى غرفتها على
الفور، وما أن دخلتها حتى أغلقت الباب وراءها، وأمسكت
لمزنتها ووجدتها. واعترفت لنفسها بأن وصول جانيك غير المتوقع
أدى إلى تورط إعصائها بصورة متحولة. نظرت إلى المرأة الموجودة على
الحائط، فتصورت أن ذلك الوجه يسخر منها ومن مشاعرها.

فقبل أسيرمين فقط، كانت تجلس على صخرة قرب قمة جبل
ديوي بولد وتعترف بحاجتها المزايدة لرجل ينجبها ويحميها.
وسخرت ثانياً باستهزاء ومرارة من وضعها الحالي. فبعد سبع سنوات
من الحفاظ العاطفي لم تعرف علاجاً معيلاً للمداعبة أو الغزل، عائلتها
رجلان مختلفان ثلاث مرات في ليلة واحدة خلال أقل من نصف
ساعة. وشعرت بأن حاد في داخلها، لما تذكر بوضوح مداعبة
جانيك الاستغراقية، في حين أنها لا تكاد تذكر مداعبة باتريك

الرفيقة الناعمة؟ شعرت بالحيل والاحتقار الذات. أضعفتها رغبات
جسمها إلى درجة جعلتها تتجاهل العقل والعاطفة، وتترها معانقة
عمومة من رجل لم تحفه وتشتت منه. كانت تعتقد دائماً أنها تمارس
سيطرة كاملة على أحاسيسها ومشاعرها. ألم لفعل ذلك طوال سبع
سنوات؟

تمزقت بالطبع لظروف معينة. ألقاها قبل خطبت قبلة القصاص
للهمين الذي حق بها نتيجة لمغازلته الأولى، هذا إذا كان بالإمكان
وصفها بذلك. كما أنها صدمت بعودته المفاجئة ومشاهدته ما حدثت
غابين فواحي باتريك. وأضاف هجومه الفاسي عليها سلاحاً جديداً
ساعد كثيراً على تخفيف الحاجر الدفاعي الذي كانت تلبسه...
ألتعت ثانياً نفسها بأنها أصبحت الآن قليلة على معالجة الأمور
بهذه روية لجانيك لاسير رجل لا يمكن تجاهل خطره. وهو الآن
أخطر من السابق لأنه أصبح على ما يبدو لا يعرف الرحمة أو الشفقة.
التعتها اعتماداً بأنه سيأخذ ما يريد، وبأن السنوات الطوال التي
أضاعها في مناطق بدائية كفقدته تلك القشرة الرقيقة من اللدنية التي
كان يتخفى وراءها.

ساعدتها اللحظات القليلة التي أضعفتها في التفكير والتحليل على
التطبيق من حدة غضبها. حملت فرشاة الشعر بيد قوية لا ترتجف
وسرحت شعرها بهدوء بالغ، قبل أن تدخل إلى غرفة ابنتها عبر الحمام
المشترك الذي يقع بين الغرفتين. كان الصبي يغط في نوم عميق،
فوقفت تتأمله بسمحة وحزن. وبعد بضعة دقائق، طعنت قبلة خفيفة
على جبينه الناعم ومهتت:
- تصبح حل خير يا حبيبي.

حملت ثانياً إلى غرفتها بهدوء وحذر مائتين، خوفاً من إيقاظ
الصبي. وما أن دخلت وأغلقت الباب وراءها، حتى تسمرت في
مكائنها وحذقت مذهولة بذلك الرجل الطويل القامة المتمدد على
سريهها. كان جانيك يضع رأسه على يديه وينظر إليها ببرودة

ساعرة. وكان يبدو جذاباً للغاية فوق الغطاء الأزرق الناعم. أثارتها جاذبيته الساحرة ورجوته الصارخة، ولكنها أثرت التصرف بحكمة وروية.

- ألن تأمرني بمغادرة سريرك؟

خفت نائيا الكلمات القاسية التي كانت على وشك إطلاقها. وهزئت كتفها كأنها غير مكترثة بوجوده وقالت له جنود، فيها كانت تسير نحو الممرات لتسريح شعرها.

- وإذا فعلت ذلك؟

جلس جانيك على حافة السرير، وأصبح بالنائي قادراً على مشاهدة صورها في المرآة. ثم قال لها:

- لم تتوقعي عودتي، اليس كذلك؟

نظرت إليه بتحد وقالت له بسخرية بمحاكاة:

- لا، لم أتوقع عودتك.

- لا أدري السبب الحقيقي لذلك. لقد شعرت بفرح عظيم عندما استلمت رسالتك.

أغضبها غيبه انزعج ولكنها حافظت على رباطة جأشها وقالت:

- يظن من يسمعك تقول هذا الكلام أنك لم تستلم أي رسالة مني. كنت أبحث لك برسالة كل أسبوع، وهذا أفضل بكثير مما كنت تفعله أنت.

ضحك جانيك وقال لها بسخرية لأذعة:

- رسالة؟ هل هذا ما تصفين به تلك الأوراق الصغيرة التي لم

تعمل أبداً أي طابع شخصي؟ كانت هذه... الرسالة... شبه

بقرير موجز لعمد مديرة منزل أو مربية أطفال.

ثم راح يردد يتحكم بشوهِ الحق والمرارة بعض ما كانت تكتبه له:

- أعدت الصبي اليوم إلى طبيب الأسنان! تمنع جون بول يوم له

في المدرسة! بدأ جون يتعلم السباحة! لم تسألني مرة عن أسوالي أو

صحتي أو أعمالي. مجرد تقرير موجز وإبرادة قواماً بالواجب. ما هي

الاجازات أو التعليقات التي كنت تتوقعها مني على مثل هذه التقارير؟ تعطلت الجرافة اليوم! فزت في مباراة الشطرنج التي أقمها

الهندسون!

- ربما لم فعلت ذلك، لما كان جون طلع بشك الفكرة السخيفة

بأنه ليس لديه والد!

- كنت متعجباً ذلك. كان سيناسبك جداً لو أنني لم أجد. لا بد

أنك تأملت كثيراً عندما اضطورت لكتابة الرسالة الأخيرة التي

تذكرني فيها بواجباتي كأب!

خافت نائيا أن تراه على كلماته القاسية. لم تتق بقدرها على

التحكم بأعضائها. وامتنعت عن الرد، لأن جوابها سوف يزيد

الوضع السيء سوءاً. ولكن عينها كانتا تقفان شراً وهما ترافقان

جانيك يقرب منها ويقول لها بشكل جارح:

- لو أردت الشغل عن مسؤولياتي كوالد، لما كنت تزوجتك في

انقضاء الأول! لم ألك نسبت ذلك في محاولتك الاحتفاظ بصورة سوداء

مشوغة عني؟

تلاست النظرات الحادة والقاسية عبر المرآة، ولكن نائيا حافظت

على برودة أعضائها المصطنعة وقالت له جنود:

- أنا لم أقتح عليك الذهاب إلى أفريقيا، ولم أطلب منك مرة

التيك هناك.

- لماذا تزوجني، يا نائيا؟ لم يكن هناك شيء في عينيك منذ البداية

سوى الاحتظار... والتمني الصامت بزواني إلى الأبد. لم تعطي

زواجنا أي فرصة للنجاح. هل كان شيء يعمل على البقاء؟

كان جون طفلاً رطاً ما يحتاج إلى أمه... وليس إلى أبيه. كنت

أستعبد بوضوح تام احتظار والاشتمزاز كلما نظرت إلى.

قالت له ببرودة قاسية:

- دعني أذكرك بمر عام جداً. أنا لم أطلب منك أبداً أن تزوجني.

لم أطلب منك سوى الاعتراف بأنك لست جون.

- لو أعطيتك مالي، لكنت هربت إلى أبعد مكان في العالم ومعك
أبني كيلا تتكهن من رؤيته أبداً. سبب زواجي منك هو ذاته الذي
يحميني على عدم منحك الطلاق. أنا أريد أبني، حتى لو كان ذلك
يعني اضطراري لتحبك.

أحسث تأنيبا لي أعر وجهها غضباً وحناً قبل لحظات، بأنه جاء
دورها الآن لتضحك بسخرية مائلة:

- تريد ابتك؟ إنه الآن في السابعة من عمره ولا يعرف حتى كيف
يتداول ما هو شكلك. إنه ليس متأكداً من أن لديه والدًا فكيف
يفسر هذا الأمر وتوقع بينه وبين هذا الحب الأبوي العظيم الذي
تدعيه الآن؟

توترت فسمكت وجهه فجأة، فشعرت تأنيبا بأن سهامها أصابت
مرماها. ثم سمعته يقول لها بحضاق:

- مضيت سبع سنوات على زواجنا! وكنا نقول أحسث لكنت
الطريقة القديمة، يبدو هذا الزواج وكأنه حدث أمس. . . وانت
تعلمين كم كان يوم أمس سعيداً ومزيجاً. لا أدري كيف يمر الزمن
يمثل هذه السرعة. أعترف بأنني لم أكن أنوي البقاء طويلاً. ولكن
جون أصبح الآن بحاجة لوالديه معاً، كما قلت في رسالتك الأخيرة.
ثم طوى قصصها بأذراعيه وقال:

- أنت أيضاً كبرت ونضجت، يا تانيا. وهذا الجسم الذي
التصقت به اللثة أكثر من مرة لم يعد لفظة صغيرة، بل أصبح لأشئ
جلابة ومكتملة النضوج.

نظرت إليه بطريقة أرادت من خلالها أن يشاهد اشتراؤها من
ملاسته لها، إلا أن وفات قلبها كانت تقول لصدده وصلوعه أشياء
أخرى.

- لا جدوى من هذا الحديث يا جايك. وأظن أن الوقت قد حان
كي أعود إلى الحفلة.

صمتها بقوة أكبر وسألتها بعصبية ظاهرة:

- هل أصبح باتريك زليتر حبيبك؟
- لا.

جاء نفيها الصلخ بلسان عما كانت تريد، وولحق ذلك إقرار
مفاجيء في حديثها.

- كانت الليلة أول مرة. . .

عشت على شفيتها لحق بقية كلامها، وشعرت بغضب عارم لأن
جايك تمكن من استرجاعها إلى التوضيح والتفسير غير الضروريين.
أبسم يزهو وانصاع قائلاً:

- الآن عدت في الوقت المناسب!

- أنت لم تعد إلا بسبب جون.

- تأكدي من أنني لن أنسى وجودي هنا.

أخذ سترته التي كان وضعها على كرسي ولزادها بهدوء، ثم
التحق أمامها بشيء من الاستهزاء وقال:

- لننضم معاً إلى الحفلة.

لسلطة طبق الأهل عن جانيك عندما كان صغيراً. انه لاسير قلباً
وقالها.

واحق جانيك والدته على كلامها ثم نظر الى ثانيا وقال لها بلهجة
جادة:

- انه يبدو صيياً طيباً.

هل هذا أطراء لها أو شاء على حسن تربيتها واهتمامها؟ أرادت ان
تقول شيئاً، ولكن الضيوف لاحظوا وجود جانيك فتحول تركيزها الى
أمور أقل أهمية... رغباً عنها. كان جميع الرجال يرتدون سترات
وربطات عنق... باستثناء جانيك. بدا قوياً بينهم، متفوقاً عليهم،
وجذاباً أكثر منهم. انه يرفض القيود التي تفرضها العادات
والثقافة. لم تترك ذراعه خصبها لحظة واحدة طوال فترة ثقفه بين
الضيوف. كانت تذكيراً لطيفاً وغير ضروري بأنها زوجته. كانت
تذكيراً أروعها وضيقها، وبخاصة لدى سماعها التعليقات المختلفة
على وصوله المفاجيء. وفيما كانت تنظر الى بتريك وشقيقته وهما
يقتربان منها، سمعت إحدى السيدات تقول لها:

- لا شك انك سعيدة للغاية بعودة زوجك بعد هذه الفترة
الطويلة.

أرغمت ثانيا نفسها على تحويل نظرها عن بتريك الى السيدة
الواقفة أمامها، وقالت:

- سوف تكون معادة جون بالتأكيد ضعف ذلك.

- جون هو ابنك الصغير، اليس كذلك؟ هل تعلم بعودة والده؟

- عندما وصل جانيك، كان الصبي زلياً.

حاولت ثانيا التمسك بهدوء من ذراع جانيك، لأنها لم تكن راضية
في ان يشاهد بتريك كيف يعطو جانيك حصرها بترك الطريقة
المنظورة. إلا ان صوت ضللا العمالي سترها في مكانها. حيث
السيدة التي توجهت الى مجموعة اخرى واستشارت لتفاجأ بالشابة
السمراء الجذابة تضم جانيك وتقول له ياغراء استغفرني:

٣- الهدنة

كانت جوليا أول من شاهدتها تخرجان من الباب الزجاجي.
هرجت نحوهما وأمسكت بذراع ابنتها، فيما كانت عيناها تنظران اليه
بحمية وحنان.

- هل شاهدت جوني؟

تدحلت ثانيا على الفور قائلة:

- كان جون ثانياً.

وضع جانيك يده على ذراعها برقة وقال مقاطعاً بهدوء ومرح:

- شاهدت لدى وصولي. كان يمشي في نوم عميق حتى قبل وصول

فرقة الحفلة لانهذا يظله الفضل.

- قل لي بتريك، يا جانيك، اليس جولي صيياً جيلاً للغاية؟ انه

لماذا لم تنجس نفسك بالدرجة يا جايك؟ كان بإمكانك
إبلاغني بأنك متني، وكنت بالتأكيد سأحفظ لك هذا السر الصغير.
أجابتني بمرح وحسب بشيء من السرور بسبب نظراتها التي تضع
أصابعها وأخرها:

- كنت لم اتخذ بعد قراراً بهذا الصدد. ولم أكن أدرك ما لدي من
أسباب كثيرة ومتعددة تمنعني عن العودة.
قالت تانيا لنفسها إن جايك وشيلا لم يلتقا أبداً من قبل. ثم تكن
شيلا سوى فتاة مراهقة في الخامسة عشرة من عمرها عندما تزوج
جايك. كما أنه ليس من المحتمل أن يكون التلصص في رحلته الوحيدة
الأخرى قبل أربع سنوات. نظرت شيلا إلى تانيا بمرح فظهر نتيجة
الارتباك البادي على عيها، وسألته ببراءة مصطنعة:
- ألم يقل لك باتريك؟ رافقته في الرحلة التي قام بها منذ شهر
وشملت، كما تعرفين، القارة الأفريقية. وعندها...

حككت
نظرت تانيا بسرعة إلى وجه زوجها الذي لم يشعر أو قبله
بشيء. ثم نظرت نحو باتريك سائلة بأصغر من ذلك ما
سمعت، وقالت:
- كنت أظن أنها رحلة عمل.

- نعم كانت رحلة عمل.
- أيا فتنته بأن يصبح معه أثناء الصغرى كي تنعم بإجازة
قصيرة.

ثم نظرت بحجة نحو شقيقها ومضت إلى القول:
- كان باتريك بالطبع متبعاً في التنقل بين أفريقيا وأوروبا،
فقرر في نهاية الأمر التوقف عن مرافقته في تلك الرحلات الكوكبة
والبقاء في أفريقيا. وكنت سأصاب بسأم قاتل لو لم يتمكن جايك من
ترك عمله بضعة أيام.
شعرت تانيا بضغط وانقباض نتيجة الإيماء الحثيث الذي عمله

كلمات شيلا.

- لا، لم يذكر لي باتريك شيئاً من هذا القبيل.
ابتسمت شيلا لأن هذه الجملة أوحى لها بأن جايك أيضاً لم يبلغ
زوجته بالأمر. ارتدت التعليق على ذلك، ولكن تانيا سبقتها إلى
القول:

- لا شك أنك كنت محظوظة جداً لأن جايك تمكن من الابتعاد عن
عمله بعض الوقت.

ابتسم جايك بملء وهو ينظر إلى شيلا، ثم قال:
- تصور أنه كان بإمكان شيلا الترفيه عن نفسها، حتى لو لم أكن
أنا هناك. ولكن، بما أن العمل كان يسمح لي بمنح نفسي إجازة
قصيرة، فقد وجدت أن من واجبي الاهتمام بشقيقة مدير الشركة
بالوكالة.

سألته شيلا بفتح ودلال:
- وهل هذا ما كنت تفعله؟ الاهتمام؟
شعر جايك بأن تانيا أخرجت تعبيراً عذيقاً للجدلية من حلقه
عاشياً وتفعلته الشاعرين من شعراء شيلا وكساليا. ولكنه كان
فيه ما يكفي من اليأس ليتم طلاقاً أن كان قد حلاقة مع شيلا أو لا.
وطلن أنها عشيقة فقط من تلك الإيجاعات لليلة. ابتسمت تانيا
بعقب وقالت للفتاة الأخرى ببرودة:

- أتي مسرورة جداً لأنك وجدت مرافقة زوجي لك بضعة أيام
أمرًا مثيراً للاهتمام. من المؤكد أنك كنت مستعدين كثيراً لو لم
يتسكن أحد من مرافقتك إلى العالم البارزة في تلك البلاد الغريبة.
نظرت شيلا بأخراء نحو جايك قبل أن تجيب تانيا بالقول:

- لم أقم بالعديد من الرحلات ذات الطابع السياحي. كنت أريد
بالطبع أن أتحول في مركز المشروع الكبير الذي يتولاه جايك. ولكنه
شرح لي بأن بعض العاملين هناك لم يروا امرأة منذ أسابيع، وأليس من
حاجة لاثارة غرائزهم عيشاً لأنهم ميعودون قريباً إلى زوجاتهم

وعائلاتهم. أنا سعيدة لأن جايك لم يجد من الضروري تطبيق هذه التعليمات والقيود على نفسه. بالتأكيد، لم يقرر جايك العودة إلى الوطن إلا بعد مغادرتي أفريقي.

ثم نظرت إليه وسأته بدلال واضح:

- هل كنت حافراً لك لاتخاذ هذا القرار؟

- انقل أن وجودك هناك ذكرني ببعض ما سأكسره فيها لو قررت البقاء.

شعرت تاليا بغضب عارم، زاد من حدته فشلها في التخلص من قبضته الحكمة. وأحسَّت بالفتاع راسخ بأن اهتمامه الزعوم بابه لم يكن الأمر الوحيد الذي اعلنه إلى البلاد. فمن الواضح أن وجود شيلا كان عاملاً مؤثراً ساهم إلى حد بعيد في اتخاذ قرار العودة. وسمعت باتريك يسأله بهدوء المعتدل:

- كم ستبقى هنا يا جايك؟

- هل نسائي بصفك مسؤولاً كبيراً في الشركة، أم كمراقب له اعتمادات معينة؟

- قليل من هذا وقليل من ذلك.

تأمل الرجلان بعضهما بطريقة تومسي بأن أيهما قد ينقض حل الآخر في أي لحظة. ثم نظر جايك إلى تاليا ووجه إليها التماساً حلوة لا تقارن أبداً بقساوة عينيه. وقال بهدوء بالغ:

- يتمتع مساعدي دائمة بمهارة وخبرة تفوقان المطلوب لإدارة مشروع الطريق. وعليه فلا حاجة للخوف، يا رايتز، من أني تركت هناك أي مشاكل أو فوضى.

توقفت لحظة ثم مضى إلى القول:

- ثمة احتمالات كثيرة بأنني سأبقى هنا لفترة طويلة جداً.

شعرت تاليا بأنه نطق بكل كلمة في تصريحه الملم هذا بهدوء وعناية قلقتين كي يتأكد من أن الجميع يفهمونه تماماً. حدثت به وعاولت بإشاعة اشتراق ملامح وجهه الجميلة لتعرف ماذا يحول في

رأسه. ألم يقل لأمه قبل أقل من ساعة أنه لم يجد بعد الفترة التي سمعها هنا؟ هل الأمر وجود شيلا على قراره؟ يبدو ذلك واضحاً، ولكن... هل هو فعلاً كذلك؟ لم يكن لدى تاليا أدنى شك في أن شيلا عامل مؤثر في اتخاذ هذا القرار... ولكنها ليست العامل الرئيسي والأساسي. وظهر جلياً أن جايك لم يكن ينوي اطلاع أحد على السبب الحقيقي لقراره المفاجيء. وتقررت تاليا أن تنصرف مرة أخرى كإحدى الطبيقتين، وقالت:

- أظن أن بإمكاننا جميعاً تناول بعض الأكلات الخفيفة. فلما رأيكم؟

اقترب باتريك منها بسرعة قائلاً:

- بكل سرور، وسأساعدك في حل المصحون.

ابتسمت شيلا، التي يدت عليها السعادة لدى سماعها إعلان جايك، وقالت:

- أجبلاً حصتي أكبر الحصص لأنني جائعة كثيراً... وشهيتي منتعجة.

بدأ باتريك يملأ المصحون الأربعة لأنه شعر بأن يدي تاليا كانتا ترعبدان غير قادرتين على حمل أي شيء في الوقت الحاضر. أمسكت هي بالمطولة كيلا تقع وسأته بصوت منخفض، ولكن بعصبية طاهرة:

- لماذا لم تخبرني بأن شيلا واقفك في رحلتك؟

- أنا شقيقتي، على الرغم من الفرق الشاسع في السن. أودت مرافقتي، فلم أجد سبباً يحول دون ذلك.

ثم نظر إليها بعينيه وكأنه تذكر أمراً هاماً، ومضى إلى القول:

- ما تريد من معرفته حقاً هو لماذا لم أخبرك بأنها... بأنها... تعرفت إلى جايك!

بصرامة. كان لدى الطماع بأنك لم تكوني مهتمة بما يفعله زوجك طامناً أنه بعيد عنك. أما الآن، فإني اعتقد أن عليّ إعادة النظر في هذا

جاء تقيها سريعاً وقويّاً، إذ قالت:

- انه لا يعني أي شيء بالنسبة لي! شعرت بأني غبية جداً وأنا واقفة هناك لا أعرف شيئاً بينما يعرف الآخرون كل شيء.

- عندما كنت أقول له قليلة أن يخطفي من حياتك، لماذا ذهبت إليه بمجرد أن طلب منك ذلك؟ لماذا تركتي قلبك هناك كالخيل بيننا مررت أنت إلى جانبه؟

وضعت تانيا يدها بعصية على جبينها وقالت:

- كانت صدمة قوية... كابوساً مزعجاً! لم أصدق أنه حقاً هناك. لم أتصور أبداً أنه سيعود، حتى عندما كتبت له...

قاطعتها باتريك بقطعان واضح وبلهجة قاسية:

- أنت طلبت منه أن يعود؟

نظرت إليه بعينين توسلان تعقده وتجاوبه، وقالت:

- كنت مضطرة لذلك. ليس من اجلي أنا... ولكن من أجل جون. كانت لديه تلك الفكرة المجنونة بأن جايك ميت أو أنه في السجن.

وأصر على الكتابة إليه طالما أنه العوبة.

لم أتمكن من رفض طلبه، ثم... أنت ذكرت لي بنفسك أن جايك مريض جداً في مشروعين مخفيين. كنت أأمل... كنت

أعتقد أنه لن يتمكن من الحضور.

تهد باتريك وقال لها جهوده:

- نعم، أتذكر ذلك. ولكن... عندما اتصورك معه على أفراد في وقت لاحق الليلة، أحس... أحس...

اجرت وبحثت بسرعة نتيجة لما أوحى به، وصارت لمحو صورتها بين ذراعي جايك قائلة:

- تقع غرفة نوم في الجانب الآخر من القاعة. نعم لا...

- ألم تنته بعد، يا وابنز، من تجهيز صحنون كريمة؟

كان جايك يلف ويدها فاستدات بسرعة لتواجه بنظرات حادة

وقاسية. وما زاد في سوء الوضع القائم، ماقلت شيلاً مرح طاهر:

- أوداً انكما تلبون مذهين. حيا كتبنا تهنئتان؟

لجامل باتريك كلام أخته عندما وسأل جايك ببرودة أعصاب حقيقة:

- هل أكثر لك قطع اللحم؟

- لا، هذا ما كنت أريده بالضبط.

قابلت تانيا نظراته الخفيفة بتحد طاهر، وانغصبت الشعور بأي ذنب أو خطيئة بسبب حديثها البريء لقائاً مع باتريك. وسمعت شيلاً تقول لجايك بدلال، وهي ترطب قطعة من الخبزة إلى فمها:

- قبل البدء بالأكل، أود أن ترحب جميعاً بعودتك إلى الوطن.

- ليكن الموضوع أهم وأشمل. ما رأيك لو قمنا للجميع أيضاً الفضل ومستللاً أكثر سعادة وهذا؟

كان الأربعة واقفين قرب المائدة، وكان هناك دائماً شخص يتولى قليلاً للتحدث مع جايك. كانت تانيا تتعبد تحب النظر إلى زوجها، وتتمنى لو أنها لم تكتب له تلك الرسالة التي شجعت على المجيء.

اقترب منه رجل وربت على كتفه قائلاً:

- الآن لقد عدت يا جايك، فصادقاً ستعطي هذا؟

نظر إلى تانيا بسرعة وأجاب الرجل مبسباً:

- أول شيء سأفعله هو لقضية بعض الوقت مع عائلي، والتعرف بطريقة مناسبة إلى أبي.

لدخلت شيلاً وتحدثت قائلة:

- من المؤسف أنه دخل المدرسة الآن. ستكون لديك ساعات طويلة من الفراغ التلم كل همار.

نظر جايك إلى العيين اليمين اليمينين اللتين تعدته بأمور كثيرة، وقال:

- سأفكر بأمر عدة من الفراغ.

لم يثنه الرجل إلى مغزى الحديث للتلبدل بينها، إذ ضحك وقال:

- أتصور أن للسيدة الجميلة خطأ كثيرة يقتصر تفليها عليكما وحدهما. اليس ذلك صحيحاً يا سيدي لاسيتر؟

اعتنى اللون من وجبتها عندما شاهدت ابتسامته المرحمة الساعرة. ابتسمت وقالت للرجل أن جانيك هو الذي يضع الخطأ. لم يتم لأيا بدت كزوجة مطهرة ترسخ لرغبات زوجها. فهو يعلم أن ما عنه حقاً هو أن خطئه لا تشملها. ابتسم الضيف وكان معلقاً على جلستها القصيرة:

- كم أغنى لو أن زوجتي متساهلة معي إلى هذه الدرجة؟
رد عليه جانيك وعينه تشعان حيناً واستهزاء:

- لم اعتبر ثانياً أبداً زوجة متساهلة.
- جانيك، هل يمكنك الحيء لوداع جورج هاريس وزوجته؟
إنها ذاهبان.

ابتسم جانيك لأمه وراقبها نحو الخديفة بعد اعتذاره بتأديب للمجموعة التي كان يقف معها. وما هي الا لحظات، حتى أمسك باتريك بذراع شقيقته وقال:

- هيا يا شيللا. أظن أن الوقت حان للذهابنا نحن أيضاً.

ثم مال برأسه نحو ثانياً وسألها هامساً:

- هل يمكننا أن نلتقي؟

شعرت بأن قلبها خاص في مكانه وأن الدماء تجمدت في عروقها. كانت شاردة الذهن للدرجة أنها لم تتمكن من الاعتراض أو الاحتجاج. هزت برأسها وقالت:

- نعم يا باتريك.

أذن ذهب الزوجين هاريس وباتريك وشقيقته تقرب اندهاء الحفلة وبدأ الرحيل الجماعي لبقية الضيوف. وفيها كانت ثانياً تودعهم مكررة الجمل الوداعية الملهية، وراحت نظراتها تراقب انيبال باهتمام بالغ منتظرة عودة جانيك قبل مغادرة آخر الضيوف. وعندما ذهب الجميع، ابتسمت وتنهت بارتياح وسرور.

فلدت تسمع بعض الأصوات في الخارج بما يشير إلى أن جاني دي وجوليا غادرا في أحاديث مشبعة مع جانيك. لم تكن راحة في مغابته داخل البيت، فأخذت تجمع المصعون والأقداح وتضعها على طاولة جرارة كي تنقلها من الخديفة إلى البيت. تطلعت إلى قصص الخديفة ثم رفعت رأسها إلى سماء منتصف الليل تتأمل النجوم والقمر وتسمع يلهو تلك اللحظات وسكينتها. وفجأة جدت في مكانها وقالت:

- لتصورت أنك كنت تودع الضيوف.

لم ينظر إليها جانيك، بل جلس على أحد القاعد المربعة وقال:

- تسملت بعيداً فيما كان الجميع يتبادلون أحاديث غير هامة.

شعرت ثانياً برغبة قوية للإثارة أعصابه، مستخدمة طريقتة وأسلوبه معها:

- لماذا؟ هل كنت تفكر بوسيلة لملاقاة شيللا؟ لن يكون ذلك صعباً

جداً. فهي تقضي فصل الصيف على مركب باتريك الذي يستخدمه

كبيت عائم. إنها نقطة لقاء تناسك جداً!

نظر إليها بعينه القولايتين فأحست بظفره يخترق عينها

ووجهها وقال لها بتأفف وللمل:

- كنت متعباً ليس إلا. أنت تعريفي أنني قطعت عدة مناطق إمنية

في رحلتي من أفريقيا إلى الولايات المتحدة.

كان التعب فعلاً يلبسها على وجهه، ولكنها لم تتمكن من التعاطف

معه أو الشعور بالشفقة عليه. نظرت لسمعان القهوة الفارغ الذي كان

يجمعه في يده، وقالت باستهزاء:

- أهذا كل ما تشربه هذه الأيام؟ أنك لم تعد كجانيك لاسيتر الذي

تذكره.

- هذا صحيح جداً، فالقهوة تبقى صديقاً ومتنبهاً. إن أذكر تلك

الليلة التي كنت فيها غامعاً شارد الذهن للدرجة أنني لم أذكر شيئاً مما

حدث خلالها. وبعد أقل من سنة، أحضرت لي فتاة في التاسعة

عشرة من عمرها طفلاً ربيعاً وضعتها لأمي وقالت لي أنه أبي.
 أحسنت بأن معدتها تحولت إلى نار متأججة لغرق قلبها وكبدتها.
 حاولت أن تبدو هادئة مثله، ولكن يديها كانتا ترتجفان بشكل واضح.
 شدت أصابعها بقوة، فيما كانت غير قادرة على التحمل لثقله الطويلة وعضلاته اللينة القوية. لم تجبه، فمدني إلى القول:
 - سألت نفسي مراراً عما يمكن أن تذكره انت عن تلك الليلة القريظة!

- العقل أداة محبة وعاطفة، ينسى الإنسان عادة الذكريات المؤلمة والمرعبة.

لم يتأثر بنظرات الاحتقار في عينيها البسملتين، وسألتها جهوداً:
 - وهل كان كل شيء في تلك الليلة مؤلماً ومزعجاً؟ أتذكر الجزء الأول منها بوضوح تام. أذكر أنني التقيت بشابة جميلة جداً وخجولة جداً في معرض سيداليا وأل دعوها إلى الرقص. وتذكر أيضاً كيف أحمرت وجنتها الجميلتان الناعمتان عندما قلت لها أن شعرها يذكرني ببلون القفص اللحية الأثيرة. لم نتحدث كثيراً... كنت أطوفها بدارعي وأتظاهر بتحريك القدمين كي يبدو أننا نرقص... مع أنني لم أكن أفضل شيئاً سوى النظر إلى عينيها الجذابتين الرائعتين.
 كان صوته كقطعة من الخشب السحري حيث كنت حولها فجأة وأعادتها بالذاكرة إلى تلك الليلة. لم يكن عليها إلا أن تطبق عينيها كي تذكر حلاوة تلك الأمسية وسجتها، تأوهت بصمت وهي تذكر نفسها بين ذراعيه... خافت من رد فعلها ومن الرغبة الشائعة التي اشتعلت في داخلها. أغلقت باباً فولادياً في عقلها لظروء بقية ذكرياتها عن تلك الليلة، وسأله بجرأة:

- لماذا تحاول انتاعني، يا جايك؟ يركك كنت فعلاً نجني؟ بأنني كنت أعني لك شيئاً ما؟ هل كنت حقاً أكثر من مجرد لعبة لظروءها لليلة واحدة؟

أمسك كتفها وهزها بقوة قائلاً:

- ثلثها، القلعة! أنا...

- كنت مثلي لربو بيتي في عطلة الاسوع الثانية... لو هكذا كنت لي! لم تكن تعني ذلك قط! أنا أحرف ذلك، كما تعرفه انت تماماً! صرخ بوجهها غاضباً:

- قل أنني أتذكر في حادث سيارة. لم تتمكن من اللعب اليك.
 - وكانت تلك الحادثة حدثاً مناسباً، ليس كذلك؟
 هز رأسه بأن سبب السخونة الثلاثة التي حملها صوتها، وأنزل يديه عن كتفها قائلاً:

- لا تذكر أبداً أنني وهنتك بالرجوع ولكني كنت أنوي ذلك...
 لو لم يفتل جاني في تلك الحادثة. وكبي أكون صادقاً معك، شعرت بعد موته بأنه لم يعد هناك شيء آخر يجني. كنت أنسى وجودك كلية، إلى أن ألتقيت صدقة بعد ذلك.
 - هذا ما يمكنني تصديقه.

- ولهذا السبب تذكرهني، أنسى كذلك؟ جرححت كرامتك لأنني أحسيتك ثم نسيتك. لم تغفري لي ذلك حتى عندما تزوجتك. كنت تشعرين أنني مدين لك هذا الزواج كي أعرضك جزئياً عن تلك الليلة الوحيدة الموجهة.

أشها جدا فكرة تصويرها لإنسانة لا قلب لها، فاستجبت بعنف:
 - ليس هذا صحيحاً على الإطلاق. لم أكن أنوي أبداً إيلائك بما حدث... لو لم يحدث ذلك اللقاء للمفاجيء. لم أكن أريد الزواج منك. ولكنك عندما علمت بأمر جون هددني بالتزاعه مني. السبب الوحيد الذي جعلني على إيلائك بلمرة...

غصت قليلاً وتوقفت لحظة قبل التمام جملتها قائلة:

- أخبرتك بوجوده لأنني أريدك أن تدم وأن تشرب بعض اللبن والحليب اللذين كنت أشربهما. لم أكن أريد إلا القليل من اللال لتسديد الشفقات الشربة علي. ولكن أردت العقل! تياً لك ولأموال لاسيتير، ولوة لاسيتير، واسم لاسيتير! تعاملي في البداية كذاتية

صغيرة وخسيرة ومنسية، ثم تنتظر حتى ان أغفر لك مجرد ازغالك في حل الزواج للاحتفاظ بجنون! أنت تطلب المستحيل!

- أنت لم تحاولي أبداً. نحن لم نتعامل أبداً مع مسألة زواجنا الا كمجرد غطاء لوجود الطفل. أما الآن فقد حان الوقت لتصرف بجديّة، من أجل ابنتي ان لم يكن من أجل أي شيء آخر. أنت اعترفت بذلك عندما كتبت لي تلك الرسالة التي اقترحت فيها عودتي الى الوطن... مع أنك تظنين اني لن أقبل ذلك.

بدا قريباً منها، فترجعت بسرعة الى الوراء. كانت غيابة شعاع يبرق لا تفهمه ولكنه يثير أحاسيسها ومشاعرها. قالت له بعصبية:

- لن تتمكن من التوصل الى نتيجة إيجابية يا جيك.

قال لها بناد صر غاضب:

- أنا لم أقل أبداً أننا سننجح! قلت ان من واجبتنا ان نحاول ذلك. ما من زواج يحقق النجاح، ما لم يتم الزواج بمحاولة لتحقيقه. أنت امرأة جميلة ومثيرة، ولا يمكنني ان أصبقك لك تحديتي قبحاً وكرها بدرجة ثمة.

كنت ثانياً بصمت لو كان بإمكانها ان تجده هكذا. كانت تنظر في اتجاهات مختلفة كي تغادي وجهه الوسيم الجذاب. وظهر الخوف في عينيها عندما نظرت اليه وسألت بهو:

- ماذا تطلب مني يا جايك؟ أن أحبك؟

صبر عنه صوت منخر يشبه الضحك قبل ان يلوّث لها:

- أعلم أنك ربما كنت تظنين ان الدماء التي تجري في عروقي حارة جدا بسبب الفترة الطويلة التي أمضيتها في تلك البلاد الحارة. الخواب هو عكس ما تتصورين. فانا لا أطلب منك مشركتي سريري... مع ان ذلك قد يصنع النتيجة الحتمية في نهاية الامر. ما أريدك ان تفعلني... أو بالأحرى ما اقترحه علينا معا... هو ان نتعامل بعضنا كأصدقاء وليس كأعداء. لنحاول التعرف ان بعضنا على حقيقتنا، وليس بناء حل ما يتصوره كل منا بالنسبة للآخر.

سميها فترة تحريرية أو هذنة أو ما شئت، ولكننا بحاجة لدفن الماضي ونسيانه.

- انها نظرية ممتازة وكان بإمكانني أخذها بعين الاعتبار. لولا تلك الطريقة المحققة التي عاملتني بها الليلة.

- تعين عندما فاجأناك مع واينز؟

- لفرجل اسم أول. انه باتريك!

- ربي! أنا متدين لك بالاعتذار عن الطريقة القظة التي عاملتك بها. قد تكون زوجين بالاسم فقط، ولكني لا أزال اعتبرك لي. وأعتقد ان مشاهدتي بك بين ذراعيه كانت صفة مؤلمة لكبريالي وعزة نفسي كرجل. ومن المؤكد ان بروذك الوحيدة لم تساعد قط في التخفيف من آلام الصلصة.

لاحظت ثانياً بسرعة ان جايك لم يبتدر فعلا، الا انه اعترف بأن عليه ذلك... وكان هذا بعد ذلّه كافيًا للتخفيف قليلا من حدة غضبها.

- حسناً! هل تظنين بفترة تحريرية؟

- وماذا شأن شيلا؟

- انها ليست في الصورة على الإطلاق.

- حقاً؟ كنت تبدو سعيداً للغاية عندما شاهدتها الليلة. ومن المؤكد انك لم تكن من توطيد علاقة وثيقة بينها عندما كتبتا معا في افرقتنا.

- بالنسبة لشيلا، ثمة أوقات تمر في حياة الرجل يحتاج خلالها الى امرأة. انا أعلم ان هذا الكلام مثير لاشمئزازك، ولكن هذا كل ما ماقوله لك بصديقه. إلا ان اتفاقنا سيقتصر علينا نحن فقط.

- هل تلوث لك لن تلقى شيلا؟

- وهل تقولين لك لن تلقى باتريك؟

- قلت لك اني لم أكن كتبت!

- بعد هذه الليلة، لا أظن انه سيكتفي بالنظر اليك من بعيد. لقد

تلقوا طعم العسل، وسوف يزيد المزيد منه. ولكن ما لنا ولهذا الموضوع. ما يعني هو انك لم تحبى بعد اذا كنت موافقة على اقتراح القعدة.

- وماذا سيحدث في نهاية الفترة التجريبية اذا كنت لا تزال تحتقر؟

- اذا شعرتا بعد شهرين او ثلاثة ان زواجهما لن يتجح بأي طريقة او اخرى، فمسلما تبحث عن حلول بديلة.

- الطلاق مثلاً؟

- إنه الخلل الواضح.

- وان لم أوافق على ما تسميه هذه، فماذا سيحدث؟

- سيحدث ان تستمر الأمور تماماً كما هي عليه الآن.

ظهر الغضب جلياً في عينيها، وتذكرت فجأة ان اعتراضه قبل خطبات باقمة علاقة مع شيلا أثناء وجودها في إفريقيا لم يزعجه على الإطلاق. سأله بالترهاع واضح:

- كنت لا تترك لي خياراً آخر، أليس كذلك؟

- أحياناً بنعمية غالباً:

- هذا يعتمد على الطريقة التي نطيرين بها الى الموضوع. انكري هذه المسألة بتمعن واعطيني جوابك خلال يومين او ثلاثة.

وتركها واقفة بذهول ودهشة، دون ان يودعها أو يضيف كلمة اخرى الى جلسته.

٤ - انتصار قبل المعركة

تهدت تاليا بانقباض دون ان تدري السبب. وبدأ ابن اترهاعاً غريباً يلقي بقلاته على جمال الصباح وروغته. ولم تذكر السبب الا عندما فتحت عينيها واستأققت بصورة تامة. لقد عاد جيليك الى البيت...

تلوحت قليلاً ودقت رأسها في وسادتها. عاد الى البيت ويعتزم البقاء. لن تتمكن بعد الآن من تجاهل وجود زوجها. وأسوأ ما في الأمر انها غير قادرة على كرهه. ثمة خوف، كيف تصله أو تسميه، ناجم عن المضاعفات التي يمكن ان تحصلها عودته وعن الفكرة الرهيبة من انه سوف يكتشف قريباً السر الذي حافظت عليه حتى الآن بغاية الدقة.

فتح الباب فجاءه وشعلت ايتها يدخل منه بسرعة ويقول لها
بلهفة:

- صحيح؟ هل ابي هنا حقاً؟ قالت لي جدي انه عاد، فلان هو؟
اي هو الآن؟

منعه حاسته ولبسته الشبيذتان من ملاحظة انقباض والده، ومن
ايتها اوعيت نفسها على الايشام عندما قالت له:

- نعم، انه هنا. وهو نائم في الغرفة الأخرى.

- سأذهب لرؤيته؟

أرادت ان تمسك به فلم تتمكن. قامت من سريرها بسرعة
صارخة:

- جون، انتظر!

ما ان وصلت الى باب غرفتها، حتى كان جون يفتح باب الغرفة
الواقعة في نهاية الممر. ولما وصلت اليه، كان يقف داخل الغرفة

بدهول وهو لا يزال ممسكاً بقبضة الباب. وضعت يديها على كتفيه
لتسحبه يدهو الى خارج الغرفة، وهي تهمس بحزم وقوة:

- لا توطئه الآن يا جون.

ثم انتهت الى سب ذهوله وجوده. كان جايك واقفاً مكشوف
الصدر امام باب الحمام الداخلي، يتأمل الصبي بدهول مائل. ثم

غمز الصبي يأساً وقال له:

- اسعدت صديقاً يا جون. انت جون، اليس كذلك؟

هر الصبي رأسه وهو لا يزال محديقاً بالرجل الذي يبين وجوده
على كل شيء آخر. سأله جون بصوت يوحى بخوفه من احتمال

سماع رد سلبى:

- هل انت ابي؟

اجابه جايك بكلمة وحيدة وبسيطة، ولكنه لم يتحرك نحو
الصبي. واكتشفت ثانياً انها تحس انقباضها. تقست يدهو تام

ورفعت يديها ببطء عن كتفي جون. كانت الغرفة هادئة وساكنة

لدرجة انه كان بالإمكان سماع صوت ريشة عصفور وهي تلامس
السجادة. واخيراً، ترك جون الباب وتقدم ببطء نحو والده. توقف

امامه ثم رفع رأسه نحو وجه ابيه وسأله بجذبة:

- هل سأصبح طويل القامة مثلك عندما اكبر؟

علت وجه جايك ابتسامة حولت ملامحه القاسية الى لعمرة وحنان
لا يصدقان. ركع امام الصبي واجله بجذبة خائلة:

- ربما ستصبح اطول مني.

خيم الصمت مرقع اخرى، الا ان التوتر الذي كان ساكناً قبل
قليل زال واختفى. احسث ثانياً وهي تراقبها معاً بانيتها نسياً تماماً

وجودها في الغرفة. كانا قريبين جداً الى بعضهما، ومع ذلك لم يتحدثا
او يتعانقا. كان احدهما واقفاً يتلمص يدقة وجه الرجل الغريب

الذي هو والده، فيما كان الآخر راكعاً يبدو على عياده ملامح الثقة
والثقة. وبعد لحظات صمت طويلة، سأله جايك:

- الى تتناول فطورك بعد؟

اجابه الصبي بكلمة نفى واحدة، فمضى الوالد الى القول:
- وانا أيضاً لم اتناول فطوري بعد. اذهب الى جدتك الآن واطلب

مها ان تضع صحناً آخر على الطاولة. سوف تتناول الفطور معاً.
هر الصبي رأسه موافقاً واستدار نحو الباب كي يذهب الى

جدة. ولكنه توقف فجأة، ثم التفت الى الرجل الذي لم يزل على
ركبته وقال له بلهجة جادة وحازمة:

- انا سعيد بمعودتك الى البيت يا ابي.

وخرج جون من الغرفة راكباً. وقف جايك وكانت عيناه تشعان
بالسكينة والهدوء كسواء الصيف الصافية. وما ان نظر نحو ثانياً حتى

قالت:

- انا أسفة.

- لماذا؟

- لان استقبالي جون لك لم يكن حاسياً تماماً. انا...

التصور... انه لا يعرفك جيداً.

- وهل كنت تتوقعين منه ان يرمي نفسه علي؟ كنت سأشعر بطيبة
امل لو فعل ذلك. انا غريب بالنسبة له، ولا اريد ان يمنحي ثقته
ويحت لمجرد اللامعة بآني والده. اريد ان احصل على حبه بحرارة،
وعندما فقط اشعر بانها هدية ثمينة للذخيرة.

تحدثت تانيا ووضعت يدها على جبينها ثم قالت:

- اعتقد انك حل حق في ذلك.

لم تتمكن من طرد ذلك الشعور القاطني بانها هي المسؤولة الأولى
عن قيام هذا الشرخ الكبير في العلاقة بين الابن وابيه. لم تنبه الى
اقترابه منها الا عندما صمته يقول:

- استمع وقلنا كلياً يا تانيا كي يتمكن من معرفتي بصورة تامة.
تسارعت دقات قلبها عندما شعرت بقرينه منها، فارتبكت ولم
تعرف ماذا تفعل او تقول. وسمعت يسأفاً يهدوء:

- هل فكرت قليلاً بحديثنا امس؟ تصور ان افضل شيء بالنسبة
ليكون قيام هدنة ودية بيننا.

لم يتمكن جزء من عقلها من التركيز على ما قاله، لأن قلباً كبيراً
من احساسها كان مشدوداً كلية الى جاذبيته الساحرة ورجولته
الملهية. ردت عليه همساً:

- لا يمكنني ابداً ان تصبح صديقين يا جانيك.

- اتا لم اقل قط ان بإمكاننا ان نصبح صديقين. في الحقيقة انني
اول من يعترف باستعالة ذلك من الناحية العملية. كل ما اريده هو
إزالة هذا الجرح العذائي الملعين القائم بيننا، والذي لوجوده نحن
بأبدنا.

تجنبت النظر الى الرجل الواقف قريباً، لأن حضوره كان يتر فيها
نزوة جاهشة تضعف مقاومتها لأغرائه القاسي. هزت رأسها وقالت
بتلعثم:

- لا... لا ادري. اي حقاً... لا ادري.

نولعت هبوب عاصفة هوجاء نتيجة ردها المتردد، ولم تكن
مستعدة للنعومة المفاجئة في صوته والتي دأبتها برفقة مشيرة. قال لها
وهو يمسك بكتفها:

- هل اطلب منك الكثير عندما اقترح عليك تعايشاً سلمياً؟
لم تتمكن تانيا الشقاقة من صد النار اللاناجية التي شعلتها
لمسائه، ولم تتمكن احساسها من مكافحة تلك الرغبة الجائعة في
الاتصال به وبجسمه القوي الترحش. انقضت عينها بقوة
ورفعت يديها لتحمي نفسها من اي مضاعفات اخرى. ثم شهقت
وقالت له بصوت يرتجف بعض نتيجة لتجرب عواطفها الحائلة:
- لا تلمسني! لا يمكنني تحمل لمسك!

فتحت عينها لتشاهد ذراعيه ان جالبيه ونظرات الغضب تجمد
ملامح الالم في وجهه. كان يمسحها من رأسها حتى الخصر قدمها،
وينظر اليها باشمئزاز... وباحتقار للذات. وقال لها بعصية:

- تيا لي، كيف تزوجت قطعة اثاث صغيرة وجامدة مثلك؟ انت
في الظاهر امرأة جميلة تلصق رقبة وعاطفة، بينما لست في الحقيقة
سوى قطعة كبيرة من الثلج!

- لا هذا ليس صحيحاً!

احسنت ياك طعن كرامتها في الصميم، ولم تتمكن الا من نفي
اتهامه القاسي بقوة وبدون تردد. انها تعلم تماماً ان مشكلتها الأساسية
تكمُن في مزرعة تأثرها بالرجل الذي يهتم بها ويرعاها. نظرت الى
وجهه فأتت فيه مزيجاً من اليونة والأفراء المزعزعة بفقر ما جلبهاها.
قال لها بصوت ناعم حلي لها دعوة واضحة للاقتراب منه واليك ما
تدعيه:

- يجب عليك ان تقبلي، بالبرهان المانع، اقري الأقوال
بالأفعال.

اقتربت منه بلهول فيما كانت تشلها اليه قوة سحرية لا تقاوم.
استرنا نظرائه الحائلة وراحت تحملها اليه، مع ان جميع افكارها

الأخرى كانت تصرخ بها صالية منها الابتعاد عنه. شعرت بانفاسه الدافئة تداعب وجنتها، وتسمرت نظراتها على شفتيه. ثبتت لو أنها تطبقان على جوفها، ويخرجان في نفسها تلك الرغبات التي دبت على مخزنها منذ زمن طويل. وانتهت تائها إلى حالتها في اللحظة الأخيرة. لن تدع جايك يكتشف ضعفها الخطر أمام مداعبة الرجال ومغازلتهم.

شعر بأنها على وشك التراجع، فطوّتها بين ذراعيه وقال لها بصان:

- لا تجري الآن، يا حبيبي.

سمعا صوت اقدام تعدو في المر، قبل أن يتوقف جون فجأة أمام الباب المفتوح على مصراعيه ويحدق مستغرباً بالشخصين اللذاتين. أطلق عينيه ثم فتحهما قبل أن يقول متلماً:

- قالت ... جدي ... ان ... ان القطور ... جاهز.

ابتسم جايك وهو ينظر إلى رأس تاليا المحني وفراعيها اللشجنين اللذين كانتا يحاولان حثاً ابتعادها، وهمس في أنفها قائلاً:

- لا تقلقي، فحضور ابك انقلك من هذه الورقة.

ثم ابتعد يديه عنها وقال لأبيه:

- سأني خلال لحظات.

تردد الصبي بتململ، لأنه لم يعرف ما إذا كان عليه الذهاب فوراً أو الانتظارهما. وكانت تاليا جامدة في مكانها، فيما كان جينبا ينضح خجلاً وملة. أما جايك فكان يرتدي قميصه بدوناً لا يضاهاى. وقبل أن يغادر الغرفة مع الصبي، اقترب منها وقال متمتماً بعد أن رفع وجهها نحوه:

- كانت تلك محاولة أولى يا تاليا. ربما في المرة المقبلة. . .

- لن تكون هناك مرة المقبلة.

اكتفى برفع حاجبيه بطريقة ساحرة بعض الشيء، توحي بأنه لا يصدق كلامها. ثم تركها واستدار نحو الصبي قائلاً:

- هل انت مستعد يا جون؟

- هل متأهين معنا يا امي؟

اجابته نقياً، ثم سارعت إلى خنق دموع الحجل واضافت بهدوء:

- اريد اولاً ارتداء ثيابي. انضب، يا حبيبي، مع والدك.

شاعدها الصبي فتسح دموعه من على خدعها، فأمسك بلواحها وسأها:

- هل انت بخير، يا امي؟

- نعم، أنا بخير.

الا ان ابتسامتها الواعدة لم تساعد كثيراً، فظهر بجدة نحو والده الذي براقبها بصمت قرب الباب وعاد يسأل امه:

- ولكن ... لماذا تبكين؟

علمت تاليا ان كلمة واحدة منها تكفي لتجعل الصبي يتقلب على ابيه. يمكنها بكلمة قاسية واحدة ان تقطع الخط الضعيف الذي يربط بينهما. ارادت ان تتقم من جايك، كم من السهل الآن ان ترد له الصاع صاعين على كل خطية تعتقد انه ارتكبها بحقها! نظرت اليه فشاهدت قسوة عينيه اللتين تعلمان بالتأكيد مدى سيطرتها وتغونها على ابيه. تنهدت وقالت للصبي:

- لي ابيك ... ابي ابيك لأنني سعيدة يا جون. لأن والدك عاد أخيراً إلى البيت.

اقتصر لغره عن ابتسامة عريضة لأنه لم يتمكن من مشاهدة القتل والهزيمة في عينها.

وقد لها:

- وأنا كذلك، يا امي، وأنا كذلك.

- سوف يبرد قطورك يا حبيبي. هيا اسرع قبل ان تبعث جدتكت فريفاً للبحث عنك.

وكفى الصبي وهو يلوح لوالده بيده قائلاً:

- هيا يا ابي.

الا ان جايك كان ينظر الى تانيا ويأملها فاحصاً. فصرفها الحكيم العاقل لركبتها امامه، ولكنه لم يرغم رأسها الشامخ بعزة وعنفوان على الانحناء والخضوع. ظل واقفاً لحظات طويلة قبل ان يدير ظهره ويلحق بانصبي. وشاهدت تانيا عيا اذا كان ادراكها اعلمته الفرق للتصبر، حتى قبل ان تبدأ الحركة. ولكنها لم تود الا تمنحه جميع غنائم الحرب، مهما كلفها ذلك من تضحيات وآلام.

مرت الأيام التي تلت عودة جايك بشكل روتيني صرف. هي البار، كان جون يذهب الى المدرسة بينما يرافق جايك والده الى مقر الشركة او يبقى في المنزل المبني على شاطئ البحيرة. الا انه كان يخصص ساعات ما بعد الظهر وحتى وقت مبكر من المساء لجلوسه كذا يذهبان احياناً لصيد الأسماك او للعب بالكرة. وعندما يرغمها مطر الربيع على البقاء داخل البيت، كانا يشاهدان بعض البرامج التلفزيونية او يسليان بعدد من الألعاب الترفيهية المنزلية.

تساءلت تانيا المفاجأة التي كانت تائها خلالها اكثر من غيرها، فكل شيء يسير بشكلها مع والده. لم يصب اي وقت على انفراد الا لتبصر لحظات مدهشة كان جايك يمسح بها يده عن جبينه من التعب والحرارة لا تقصدها او تثير انفعاله. ولكنها عانت شعوراً به يتحدى القصرى المناسبة له لغرض التاكيد من نوع ما تضطر لقبولها. رفضت التفكير بالاضاعفات التي يحتمل حدوثها لو انها ولقت على قيام فترة تجريبية يتعرف خلالها كل منها بصورة حقيقية على الآخر. لم تكن راغبة في الفضيحة اي وقت معه على انفراد، اكثر مما هو ضروري. . . للمحافظة على تلك المظاهر الخارجية امام ابنتها ووالديه.

ذهب جايك والقصي اليوم في رحلة بحرية تستغرق ساعات عدة. وتمكنت تانيا من الاعتذار عن مرافقتها لأنها على ارتياح سابق للمساعدة في مبيع بعض ريعه الى إحدى المؤسسات الخيرية. وكانت كل مفيدة تبرعت بثلاث ساعات من وقتها.

وصلت السيدة الأخرى التي ستحل محلها، قطعت تانيا حولها بحثاً عن والدة زوجها التي ستحضر لاعادتها الى المنزل. ولكنها شاهدت عوضاً عن ذلك رجلاً طويلًا أسود الشعر يقترّب منها بسرعة. احسبت بشيء من التدم والذبح لأنها لم تفكر ابداً بهذا الرجل منذ عودة جايك، وفيما كانت تتأمل ذلك الوجه القوي المرسوم ليثريك رايتز، شعرت تانيا بذلك الاعمال الدلالي المألوف الذي كان يفتقها كلما كانت تراه في السابق. احسبت له بصورة عفوية وطبيعية قائلة:

- يا ثريك، ماذا تفعل هنا؟

- كنت على وشك الانتهاء من اجتماع مع جاي في شتعا رأيت جوليا تستعد لمغادرة المنزل، فطلعت للحضور عوضاً عنها. هل انت جاهزة؟

ودعت رفيقها ومشت مع ثريك نحو السيارة. انقسم لها بحرارة عندما فتح الباب، ثم استدار حول السيارة لجلس في مقعد مسبق. قال لها ببساطة:

- اشتقت لك يا تانيا. اشعر بأنها الى انك تشعري بنفسهم القوي الذي يدخل من الشفاعة، فقلت له بصدق:

- اشعر وكأنك اكثر من اسبوع مر على اخير لقاء بيننا. ضحكك بالمر وقال:

- لم اكن متأكدًا من ان حضوري سيلقي ترحيباً. انا اعلم ان جايك لن يستر لشأني. ولكني كنت افكر دائماً بما اذا كانت عودته غيرت الذكارة ايضاً.

شعرت تانيا بالانقباض والضييق، وبأنها غير راغبة في قسم الشرة المحرمة. ولكنها تمكنت من الرد عليه بلهجة هادئة، لمجاهلة فيها لتلقي الأعماق للاحتكاك. قالت بهدوء:

- انت تعرف، انه فيما يتعلق بي، فذلك موضع ترحيب دائم.

لماذا عاذ؟ بدأت بالفعل بتعمدين علي. كما ان احسن بيرونة في صوتك، تذكرني بتلك المرات الكثيرة التي صليت فيها اشخاصاً تودعوا اليك اكثر من اللزوم. كنت اعتقد انك تشعرين بليء ما تحامي.

احسث بعقدة ذنب مؤلمة لأنها جعلته يعتد ذلك. ولكنني في الحقيقة شعرت بالانجذاب اليه، مع انها كانت عاتلة جداً من المضاعفات. صححت معلوماته بسرعة قاتلة:

- نعم... اعني... اعني ان بإمكانك ذلك.
كانت الكلمات تتلاحق بشكل يدعو الى القلق. ولكنني تهللت بقوة، واضافت باصرار واضح:

- يجب ان افكر باكثر من نفسي، يا باتريك.
- تعين جوداً ولكن... لا يمكنك القول بأمانة ان جانيك كان والداً حقيقياً للنصي.

- اني خطئة في هذا المجال بقدر ما هو جانيك ايضاً.
تهللت باتريك وقال:

- بصحب علي تصديق ذلك. هل تؤمنين بالحب من اول نظرة؟
- لا؟

ادعشها غلب ردها وسرعته، الى ان تذكرت كيف انها اخذت يسحر جانيك قبل سنوات عديدة... وقبل ان يحطم اوهامها عن الحياة والحب. وكررت موقفها بهدوء وثبات قاتلة:

- لا، لا اؤمن به، اني حدد. كنت لا ازال متزوجاً عندما شاهدتك تلك المرات القليلة في بداية الأمر. وجدتك حتى عندئذ امرأة جميلة وجذابة. ازداد فضولي لمعرفة السبب الذي يدفعك انت وعائلة

لاسيتر لاطهار زواجك وجانيك على انه في قمة النجاح، مع انه لم يأت ابداً الى البيت ولم تنتهي انت قط لزيارته. بدأت اشعر بالحنس من انه ربما كان لك صديق الوحيب. ولم تكن من معرفة السبب

حتى اكتشفت بأنني التي ان اكون ذلك الرجل. وعندما فقط بدأت اشاهد نظرات الوحدة للزوجة في عينيك. انت تشعرين بالوحدة ليس كذلك؟ هذا الاكتفاء وهذه السيطرة ما هما الا خطأ لأخفاء الوحدة الموحشة؟ صحيح؟

هزت رأسها بعفوان لتثبت له ان الموضوع لا يهمها كثيراً، وقالت:

- افطن ان كل انسان يشعر بالوحدة بين الحين والآخر.
- ليست لديك اي عائلة، اليس كذلك؟ اريد ان اعرف كل شيء عنك. هل كنت طفلة يتيمة؟

ودت عليه بهدوء بالغ:

- قتل ابي وامي في حادث عندما كنت في التاسعة عشرة من عمري. وكنت آنذاك اعيش بمفردي واعيل نفسي.
- اليس لديك اخوة او اخوات؟

نظرت تانيا بعداً وقالت بصوت غلغلة مسحة من الحزن:

- كانت لذي اخت صغرى. توفيت من جراء زلزال صمدية بعد اشهر قليلة من فقداننا والدينا.

- ولكنك كنت في حوالي التاسعة عشرة عندما تزوجت جانيك؟ لا بد انها كانت فترة عصيبة جداً بالنسبة لك. ويكفي ان اتصور كيف كنت على استعداد للبيكاه على اول كصف تعرض عليك. لم يكن صعباً ابداً استغلالك آنذاك. ماذا حدث، يا حبيبي؟ هل احببت ولم تلاحظي انك ارتكبت خطأ فادحاً الا بعد فوات الاوان؟

كانت لمجته الحسنة الصداقة تدفعها الى القضاء قصتها بكافة تفاصيلها الا انها لم تكن من السيطرة على مشاعرها وقالت له:

- صحيح، هذا ما حدث في حل وجه التقريب.
- من الحقاً احببنا ان يحاول الانسان للحفاظ على ديمومة الزواج من اجل طفل، وهذا بالضبط ما تحاولين القيام به. هل طالبت جانيك مرة بالطلاق؟

بحثنا هذا الاحتمال.

... أيا...

احسنت بيداية صدام لوري، فخطاها قائلة:

ارجوك، لتحدث في موضوع اخر.

تهد بالريك وهو ينظر اليها بحنان، وقال لها بعتد:

سأفعل ذلك بكل سرور، شرط ان تحبرني عن وضعي بالنسبة

اليك.

تحول بالريك في تلك اللحظة عن الطريق الرئيسي الى اخر فرعي

يؤدي الى منزل لاسير. ولكنه اوقف السيارة الى جانب الطريق، في

مكان يشرف على بحيرة ناهيل ووك، وقال لها:

انا بانتظار ريك، يا تانيا.

لا اعرف. لم اجد بعد الوقت الكافي للتفكير.

انا وجيل يا تانيا. لا يمكنني بعد ملاسك وتفطيك ان اكنني

بمجرد النظر اليك من بعيد.

كان قريبا منها، وكانت يده الموضوعة على كتفيها تديرها ببطء

تحوه. جاءت كلماته مطابقة تماما لحديثها منه جليك، والتي

وجدتها آنذاك مسخيفة ومثيرة للضحك. ولكنها عندما نظرت الى

عيني بالريك لم تجد فيها ما يضحكها اطلاقاً. تركته يشدها الى

صدره، أملة في ايجاد بعض السلوى والعزاء لمشاعرها المتناقضة

المعلية. ولكنه بدا لها ان افكارها المبعثرة والعقيدة ازديت تبعثراً

وتعقيداً. احسنت بلفه اقتاسه على رأسها وشعرها وعينيها، الا انه

لم يكن هناك اي وجه مقارنة مع مداعبة جليك ومغازلة الطاغيتين

الشمسيتين. وسعته يتمتم قوب قمها...

انا لست من ذلك المصنف الذي يتوصل... ولكنني اريدك، يا

تانيا.

تلوحت محتجة بكلمة نفي واحدة، فيها كانت فراغاء لظواهرها

بطوة. لولدت الابتعاد عنه، ولكنها لم تتمكن. جفت جميع مشاعرها

وجذبت في مكانها، لأنها احسنت بانها حقته على مداعبتها ثم تبين لها

انها لا تريد ذلك فعلاً. ولكن عدم الجوابا معه لم يشط عزيمته لريك

عن المتابعة. تركها وعاد الى مكانه في السيارة، ثم نظر اليها بعينين

تسعان يبرزين الرغبة والحب، وقال لها بصوت متهدج:

ها قد عرفت الآن كيف الشعر نحك. انا مثلك لا اريد علاقة

سرية ووفقاً للظروف المتاحة. انهم شعورك بالنسبة لانيك،

واحترمك لذلك. تريدني له بيتاً، وتعلماً جيداً، ومستقبلاً، يمكن

عائلة لاسير منحه جميع هذه الأمور، بالإضافة الى الاسم للشيهر

والثروة. ولكن... كلمة واحدة منك وسوف احسنت كافة هذه

الاشياء واكثر. انه يعني، واعتقد انه سيقبلي كوالد له. انه بالناكيد

يعرفني اكثر مما يعرف جليك.

حدثت به تانيا بذهول مذهش وهي لا تصدق انه فعلاً يتقدم

بطلب للزواج منها.

تفست بصعوبة وسكته:

هل تطلب مني ان اترك جليك واتزوجك؟

انسم لها بحنان ورقة. واخلف الحب المشع من عيني الى ملامع

وجبه جمالاً ووسامة عندما قال:

هذا بالضبط ما اطلبه منك. واشعر برغبة قوية للزواج املكك

وتكرار الطلب.

غضبت النظر الى عينيها خوفاً من الرضوخ لسحره المتع،

واحتجت بنية ضعيفة:

ولكني لست متأكدة من اني احبك.

انا اخر اتسان بطلب منك استبدال زوج لا تحبته بزواج آخر لا

تحبته ايضاً. ولكنك لا تعلمين مدى رغبتي في الفوز بجليك. اريد ان

ارك مرة اخرى، على انفراد، مثل الآن. اريد ان تتمكن من

الحديث معاً دونما اي خوف او وجل من ان يسمعا الاخرون، حتى

ولو كان ذلك لنصف ساعة... او ساعة... او اي مدة يمكنك

ترتيبها. فولي انك ستعلمين ذلك يا حبيبي.
- لا تخزي مني ...

أوقفها صوت سيارة أخرى عن إعطاء موافقتها المترددة.
وشاهدت العيوس المفاجيء على وجه باتريك قبل ان تدبر رأسها نحو
السيارة القريبة. أحست بالقياس شديد ولم حاد عندما رأت شيلا
جالسة قرب جايك، وعندما شاهدها هما مع باتريك. قال جايك
شيئاً لشيلا لزعجها وقصبتها، قبل ان يترن من السيارة وعلى وجهه
نظرات قاسية لم تحفظ إطلاقاً من خشية ثانياً وحولها. أحست بيد
باتريك تمسك يدها وسعدته يقول لها بصوت هادئ مضطرباً:
- أنت مضطرة للتوضيح أي شيء، فمن لم تتركب أي خطأ.
نظرت إليه يامنتان، فيما كان جايك ينتح بها وينظر إليها قائلاً
بسخرية:

- تستعان بالمشاعر الطبيعية؟ انها منطقة رائعة في هذا الوقت من
السنة.

نظر إليه باتريك بتحد وقال له يبدو مماثل.
- انه فعلاً منظر رائع.

- تعبت شيلا من انتظار هودنك، فطلعت بأخذها الى البيت.
انها الصدفه جميله ان تلقي هنا، لأن من شأن ذلك توفير بعض الوقت
لكل منا.

ثم نظر بعينين قاسيتين الى ثانياً وقال لها:
- يمكنك العودة معي الى البيت.

قالت لها ملامح باتريك بوضوح انها غير مضطرة للذهاب مع
جايك ان لم تكن راغبة في ذلك. ولكنها ابتسمت له لابلأغه قسماً
بأنها متغلب مع جايك باختيارها، وقالت له:
- شكراً لأنك حضرت لايصال لي للنزل.

وقبل ان تسبح لها أي فرصة لاعادة النظر بقرارها، كانت يد
جايك تقبض على ذراعها وتسحبها من سيارة باتريك لتدفعها الى

مبارزه. فزلت شيلا باستياء صامت من سيارة جايك، وقالت له
متعبه يفتح ودلاً:

- كنت أطلع قداماً ويشوق بالغ اني اوصولك لي الى البيت، ولكني
اعرف انك منشوق جداً للعودة الى ابنك الصغير. اني مسرورة جداً
لأنك دعوتني اليوم. أمضيت معك وقتاً رائعاً. هل من الممكن تكرار
ذلك مستقبلاً؟

وجهت سؤالها الى جايك مصحوباً باستئساء ساحرة، رد عليها
بوجه جزئي قائلاً:

- ربما.

أحست ثانياً بغضب عارم عندما شاهدت شيلا تعانق جايك،
قبل ان تقفز فرحة الى سيارة شقيقها. مضى جايك بشغل نحو يديه،
فيما أخذت سيارة باتريك عن الانتظار. تطلعت نحوه وسأته بعدها،
قبل ان يدبر محرك السيارة:

- هل ذهبت شيلا معك اليوم؟

أجابها ببرودة مزعجة وعلى وجهه ابتسامة جارحة:

- نعم ذهبت معنا، مع ان مرافقتها لنا لم تكن خطوة سلفاً.
ردت عليه بسخرية لأداة:

- من المؤكد ان جون المسكين عكر اليوم صفوك ومزاجك. انه
لأمر مؤسف حقاً ان تكون وعدته بأخذه معك.

- شيلا هي التي لم تكن جزءاً من الخطة. اتفيناها صدقة شاء
توقفت لتناول الطعام. كان الوقت الذي أمضيناه معاً برهة مثل
الدقائق القليلة التي أمضيتها مع رابتر.

أعدت وجهها عن نظراته الثاقبة، وهي تعلم ان الاحوار لي
وجبتها لفضح شعورها بالذنب. وسعدته يضيف منة غلبت عليها
برودة قاسية:

- لم يكن جون معك كمحارس امين، وبالتالي فمن المحتمل ان
وجودكما معا حتى لفترة قصيرة لم يكن برهة جداً كما تصور.

- كانت الأهداف التي حفزتنا على الاجتماع أسس من أهداف اجتماعك أنت بشيلا.

- أسس؟ أوضحني ما تقولين وتعين.

- طلب مني باتريك ان التوجه.

ظهر الغضب فجأة في وجه جايلك لكنطرس، ولكنه سرعان ما احتفى وهو يقول لها دون اكترات:

- يجب ان ارفع قبعتي اعميلاً بالرجل. لم اكن اظن ابداً انه سيصرف بمثل هذه السرعة. ومفاجئاً كان جوابك على طلبه؟

- هذا شاي.

- وشاي لنا ايضاً يا سيدة لاسيتر. ان لم يكن شاي كزوجك، فمن المؤكد انه شاي كوالد طفلنا.

- اذا كان لا يد لك من ان تعرف، فانا لم اعطه جواباً؟

- لماذا؟

- لانه لم تكن لدي فرصة لذلك. فقد جاء وصولك غير للتوقع في وقت غير مناسب اطلاقاً.

تجاهل جايلك عمداً سخرتها واصر على معرفة الحقيقة:

- لو سمحت لك فرصة الرد على طلبه، فبمفاجئاً كنت ستجيبين؟

لم تتمكن من الكذب عليه، مع انها كانت راغبة في ذلك. وقالت بنحد:

- لا اعرف. اريد بعض الوقت للتفكير.

- يبدو لي بوضوح انك لست متعلقة بالرجل، والا لما كنت بحاجة لأي وقت او تفكير. لا يمكنك نفي معرفتك به، فأنت تعرفينه بقدر ما تعرفيني.

- ولكنني لا اعرفك حقيقة، يا جايلك.

نظر إليها بعينين حلت بريقاً مختلفاً وسألها بتعومة:

- وهل تريدان ان تعرفيني؟

جدت في مكانها، خائفة من ان تقول له شيئاً اخر مستدم عليه

بقدر ندمها على احتلالها السابق. استعادت ببطء سيطرتها على اعصابها المتوترة وقالت له باصرار:

- لا، لا اريد ذلك. ما اعرفه عنك حتى الآن لا يعجبني على الاطلاق، فلا حاجة لبدل جهود كبيرة بسبب قضية فاشلة لا فائدة منها.

- هل تقولين ان زواجنا قضية فاشلة؟

ردت عليه بعصية واضحة:

- وكيف تصفه أنت عندما لا تتمكن حتى من وجودنا معاً في غرفة واحدة دون ان يسيطر علينا جو متوتر مختلف؟

- هل هكذا تشعرين أنت؟

لم يبد متضايقاً البتة عندما سمعها تصف زواجها بمثل تلك الكلمات القاسية. وعندما هزت رأسها مؤكدة ردها ايجابياً على سؤاله، اكتفى بتحريك يده وقلب شفتيه قليلاً يبدوه:

- ربما أنت على حق!

مراكب تقطع البحيرة من هذا الجانب الى ذلك. كانت ثانياً وحدها
تدماً. خلعت ثيابها وقترت الى الماء...

شعرت برعدة خفيفة في بداية الأمر، الا انها سرعان ما بدأت
لحس بموجة السباحة في مياه البحيرة النظيفة... وفي ضوء القمر
سبحت بعيداً بنشوة وفرح، ولكن بروفة الماء بدأت تزعجها قليلاً
فعدلت أذراجها. نهتها حاستها السانحة، او ربما تحركات معينة،
الى انها لم تعد وحدها. ظلت في الماء على بعد أمتار من الشاطئ،
وراحت تنظر حولها بحثاً عن الشخص الدخيل. وصرعت
بحلقة:

- من هناك؟

شاهدت شخصاً طويل القامة يتقدم من زاوية مظلمة ونفث
أمامها دماً:

- لم أعرف ان هناك حوريات نائمة في هذا العالم.

عرفت ثانياً، قبل ان تراه، ان صاحب هذا الصوت ليس الا
جايك. امتدارت بسرعة كي تسبح الى الجانب الآخر، ولكنها كانت
تعلم انها غير قادرة على ذلك بسبب التعب وبرودة الماء.

- ارجوك ان تشعب من هنا يا جايك.

ابسم بحرج ظاهر ثم نظاهر بأنه يتهدد بأمر، وقال:

- اوه، هذه ليست حورية. انها فقط السيدة لاسيتر تسبح في ضوء
القمر. ليست المياه باردة جداً؟

أجذبتته وهي ترتجف حقاً وبردا:

- باردة للغاية! هل تسمح بالذهاب كي أتمكن من الخروج من
الماء؟

ظل واقفاً يحدق بها، فيها كانت هي ممتدة جداً لأنها في مياه عميقة
تنطيطها تدماً.

- اذا كنت ترفض الذهاب، فلأرجوك ان ترمي في الشفة الموجودة
على السلم الحشوي.

٥ - النمرة الوديمة

خرجت ثانياً الى الحديقة لتتعم تلك الليلة للقمر الدافئ، بعد
ان اغبرت ابناً قصة قصيرة ساعدته على النوم بسرعة وسرور. لم
تكن راغبة في التوجه الى غرفة بيلغوس حيث افراد العائلة الآخرون
يتعادلون ويتسامرون. فضلت السير بمفردها على شاطئ البحيرة،
وكانت مصممة على الا تدع أباً من مشاكلها تفسد عليها جمال تلك
الليلة ودونها.

وقفت قرب المكان الذي يرسو فيه مركب العائلة، وراحت تتأمل
باعتجاب انعكاس ضوء القمر على صفحة الماء. كان الجو دافئاً هادئاً
ومشيئاً بالطلوع. شعرت بالحر والصفاء ثانياً بجسمها، وكانت
مياه البحيرة تبدو باردة منعشة. لم تكن هناك بيوت أخرى قريبة، أو

- ألا تعلم أن بالإمكان في كثير من الأحيان أن يحدث ذلك دون الاضطرار لحثع اللابس؟
- اللعنة عليك!

وفي اللحظة التالية كان يقف قربها ويؤذي أصابعه في كتفها. هزها بعنف شديد قبل أن يسأها بعصبية بالغة:

- لماذا تصرين على تصوير ما حدث بأنه عملية قسرية؟ ولعلت رأسها بهذوء نحو عينه الغائبتين وهي مصممة على استنزاهة إلى أبعد درجة. كانت تعرف أن أساليب السليط هو السلاح الوحيد المتوفر لديها.

- لا يمكنك أن تذكر، اليس كذلك؟ غاب الغضب الحارق من عينيه وحل محله شعور كثيب وكبرياء جريح. أزال يديه بسرعة وقال يشعور وهو يدبر إليها ظهره:
- لا، لا، لا، تذكر. وبهذه مساعدتي لا يمكنك أن تذكر شيئاً.

انحنى ثانياً لالتقاط ثيابها بعيداً عن نظراته الفاحصة، وظلت عينها تتلحلقان ظهره المستقيم العريض وكتفيه المشنجتين. أحس بأن عصر قلبها وهي تنظر إلى وقته الشاذة... الحزينة. سارت بهذوء نحو البيت العائم لأرتداء ثيابها. ولما وصلت إلى الباب شعرت بأنها لا يمكن أن تتركه هكذا... يحمل نفسه كافة المسؤولية والغضب. نادته بصوت منخفض:
- جايك.

استدار نحوها جزئياً، فقالت له بصوت هادئ قبل أن تدخل المركب:
- لا، لم يكن ما حدث بيننا هكذا.

سمعت صوت أقدام بمجرد اخلاها الباب ورامها. وانتظرت صامتة تعرف ما إذا كان جايك سيلحق بها للحصول على المزيد من الايضاحات. ولما لم تعد تسمع شيئاً تهدت بأوتياخ وأثارت القصوراة الصغيرة. وما إن نزلت عنها الشقة المبللة، حتى سمعت طرقة والشمامة:

كرهت نبرة اليأس التي غلبت على صوتها، ولكن كوصافاً بدأت ترتعد وعلمت أنها لن تتمكن من البقاء طويلاً في هذه المياه الباردة. سار جايك نحو السلم وأمسك بالشفة، ثم نظر إلى زوجته وقال ضاحكاً:

- افارمتها إليك، فلن يكون لديك شيء آخر تحففين نفسك به. ردت عليه بغضب، وهي تلعن الظروف التي سمحت له بزيارتها في تلك الحداثة القريبة المدة:

- دعني أن أقوم ما ينحتم علي القيام به. هز كتفيه ورمى المشقة على بعد أمتار قليلة منها. تشبعت المشقة بلاء وغرقت قبل أن تصل إليها. واضطرت ثانياً للاقتراب من السلم ووضع إحدى قدميها على العارضة السلي، كي تتمكن من الوقوف ولتف نفسها بالمشقة التي تحمل كمية كبيرة من الماء. وجهت إليه سهاماً حادة وخناجر قاتلة من عينيها الغائبتين، ولكنه أصر على تأملها بظفره وبمكهم. أرادت أن تصرخ به، ولكنها علمت أنه سيواجه صبرتها بانسلافة ساخرة أو ملاحظة خبيثة. اندارت ظهرها تدمر، ولقت نفسها بذلك المشقة الثقيلة التي كانت تخاف جداً أن تقع عنها أثناء صعودها السلم.

- يا للتواضع والتجمل! كظنين التي لم أشاهد نساء كما هن من قبل؟

- ولكنك لم ترني أنا! تطلع في عينيها اللتين كانتا تنظران إليه بغضب شديد، وقال لها بصوت هادئ:

- هذا تصريح غريب من أم أبي. تسمرت ثانياً في مكانها لحظة تحول فيها بردها إلى حر شديد خافت، وقالت له بنية لكتن من نصيبتها القدر الكافي من الاضطرار والشمامة:

خليفة على الباب وصوت جانيك يقول ها جدد:

- ثانيا استسلمي لشئفة الجفافة الموجودة على المقعد الامامي.

نظرت بسرعة الى المقعد وقالت له:

- وجدها.

جفت نفسها وارادت ثانيا خلال لحظات معدودة، ثم توقفت بتردد امام الباب. كانت تعلم انه مجرد فتحها ذلك الباب، سوف تحدث امور لن تتمكن من السيطرة عليها. . . وربما نمت عليها مستقبلا. الا انه لم يكن امامها بديل آخر غير البقاء داخل المركب طوال الليل.

وما ان فتحت الباب واغلقتها وراءها حتى هب واهلاً بسرعة ولحظة. كان يجلس على مقعد خشبي على بعد بضعة أمتار من باب المركب. حلقا ببعضها فترة طويلة، قبل ان تحرر ثانيا نفسها من قيود نظرائه وبدأ في السير نحو المنزل.

- ثانيا، لا تدعي الآن.

توافض قلبها كقراشة على النار الحقيقة الخفية التي تشتعل في عينيه الجميلتين. ولكنها قالت له:

- ارجوك، يا جانيك. لا أريد التحدث عن تلك الليلة.

- لا أريد منك شيئا سوى ان تعرفي اني اقدر صدقك وأمانتك.

أدرك ثانيا انك لم تكوني مضطرة للاعتراف بأي دور لك تلك الليلة.

لم يكن ثمة مجال للشك في صحة اخلاصه، وكان محروا بفعل فعله في رأسها وعقلها وقلوبها. لم تتمكن من معرفة السبب الذي دفعها لتبديد شكوكه والتخليف من عذاب ضميره. انه بالتأكيد شعور داخلي هذا الذي أرغمها على ذلك. وسمعتة يهيف قائلا:

- كما لي لم أشكرك بعد على عدم مهاجمتي امام اينما. كثيرات

خبرك كن استغلنمن الصبي للانظام مني.

- لا يمكنني القيام بذلك اطلاقاً، فعل الابن احترام ابيه.

- انك امرأة فريدة جدا. لم أدرك كم أنت فريدة وقوة حتى هذه

الساعة. من المؤكد انه كان لديك والدان عظيمان. التي من صميم

قلبي لو انه كان بإمكانني التعرف اليهما.

ولكن ثانيا كانت تعلم انه لو ظل والبعا على قيد الحياة، لما كانت

لتقبل ابدا الزواج من جانيك. . . ما كانت لتصل أبدا الى ذلك

الارهاق الجسمي والمعنوي من جراء عاقلتها اعادة طلل رضيع

والاقتسام به بمفردها. لو بقي واندها على قيد الحياة، لكانا نحملها

معها بعض ذلك العبء الثقيل. كان من المحتمل جدا ألا يعرف

جانيك ابدا ان له ابنا.

ارتمش جسمها بسبب هذه الافكار، فقال لها بسرعة:

- لا شك انك تشعرين بالبرد.

وقبل ان تتمكن من الاحتجاج والاعتراض، خلع مشرت

ورضعها على كتفها. شعرت على الفور بحرارة جسمه ورائحة

دشاته وخطر رجولته. وما ان اقرب منها كي يوزر السترة، حتى

أحسست يانها تقف امام نازح حارقتهاها لا تريد شيئا في الدنيا اكثر من

ان يطوقها بشراحيه ويضعها الى صدره.

أخذت أصابعه تداعب شعرها برقة ونعومة، ثم توقفت يدها على

عقلها وراسا تتنلان ببطء مثير. أمسك يدها ووقع وجهها نحوه

جدوه وحنا. نظرت اليه ثانيا بعينين شبه مطبقتين، وسارعت

ضربات نفسها عندما شاهدت عينيه تركزان بشغف على شفيتها.

سمعتة يشتم وهو يضعها اليه بقوة:

- انت جميلة يا ثانيا. لا تقاوميني، يا حبيبتي.

استسلمت لعناقه المحموم وتأرجعت. . . أجرامن تفرع فرعا في

رأسها، ونجوم نضيء داخل عينها. رققت على حائط صدره

القوي، ورققت يديا لتطوق عنقه بشغف مماثل. وشدها كثيرا اليه

حتى كانت ان تصبح جزء منه. وقعت السرة عنها، فلم تشعر بذلك. لم تعد بحاجة الى قطعة من القماش لتدفئها، فحرارة جسمه تكاد تحرقها. أحسّت بأن ركبتيها ترتجفان وبأن رجلها لن تتحملها على الأبد. خافت من النتيجة المحتملة لتلك اللدابة الخبيثة، فحاولت وضع يديها على صدره لإعادة عنها قليلًا.

طوقها بقوة أكبر، منتصرا على اعتراضها الضعيف بتصميمه الشغور الطوي. فعادت يداها للترجفان تداعيان وجته وجبينه وعينه. ووضع رأسها على صدره ظلا على تلك الحالة دقائق عدة، وكان أيا منها لم يكن راغيا في التحرك أو الابتعاد عن الآخر. وفجأة أمسك بذراعيها وأبعدا عنه قليلا قليلا فحلت يداها محسنتين بخصره. قال لها:

- انظري الى يا تانيا.

وقعت رأسها نحوه مرعفة، لأنها تعرف ان رغباتها القوية تجاهه لا تزال مشعة بوضوح في عينيها. ولكنها أطاعته ونظرت الى ذلك اللهب الأزرق الذي يشتعل في عينيه. بدا عليه الارتياح عندما شاهد ردود الفعل التي أثارها فيها، وسألها مازحاً:

- هل هذا هو سبب التيارات الكهربائية التي تولد أجور بيتنا؟

ابتسم عندما شاهد احمرار وجنتيها، وعاد يسألها:

- هل ما زلت تعتدين ان زواجنا قضية غاشلة لا قيمة لها؟

شعرت تانيا في هذه اللحظة بالذات، واكثر من أي وقت مضى، أنها تريد من زواجها ان يكون حقيقيا ومكتسلا. ولكنها أحسّت بان ذلك لن يكون ممكنا، فانهمرت الدموع من عينيها وقالت له بصوت مبهرج مغلب:

انه لأمر مستحيل، يا جايك.

عبرت بأن عضلاته لمجدت كقطعة كبيرة من الجليد. وبأن

جلتها القصيرة كانت كخنجر طعنه في قلبه.
- مستحيل؟

قالها بغضب عارم، فبدأت يداها تضغطان بقوة على ذراعيها وتوازن جسمها بعنف والم. وعاد يسألها باستغراب:

- مستحيل؟ ماذا تعين بذلك؟

أجبلت بصوت متهدج ضعيف:

- لا يمكن ان تنجح. ثمة أمور كثيرة لا تعرفها عني.

وتردعت لحظة لأنها عاينت من الأسئلة الكثيرة التي سيطرحتها نتيجة سماعه جللتها الأخيرة. فسارعت الى تغطيتها بالقول:

- كذلك فإن هناك أموراً كثيرة لا أعرفها عنك.

عادت اليه غطرت وعزة نفسه، فقال:

- لا يمكنك ان أتيل هذا التبرير.

- اوه، أرجوك. ألا يمكنك ان تترك الأمور كما كانت؟

- لا، لأن الألوان فلت ولم يعد بإمكاننا إعادة عقارب الساعة الى الوراء.

شعرت تانيا بأن نظراته الغامبية التي لا تلبث تكاد تحترق رأسها لتكشف أسرارها الخفية. وسمعت يقول بعد لحظات:

- كان علي ان أقنعك الآن، وان أجعل رشوبوك أمراً لا رجوع عنه.

- لا لا لا.

وغلزت خاتمة الى الوراء، مذهورة من انه قد يقرر ذلك في أي لحظة. لم يحاول الاقتراب منها، بل هز رأسه باستغراب غاضب وقال:

- قلت بتسلك ان جون بحاجة لأب. كذلك هو بحاجة الى أم. لا يمكنك ان تتوقعي منا ان نتصرف كوالدين طبيعيين بقية حياتنا،

يتبقى في الوقت ذاته غريبتين عن بعضنا.

هزت كتفها كمن فقد أمهه، وقالت:

تعرض عندما وضع يديه على كتفيها وأدار وجهها نحوه. أمسك ذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:

- أنا أعلم ان فرص اجتماع زوجانا قليلة وضعيفة، ولكننا يجب ان نحاول. لا أعرف كيف سنظفّر إلى هذا الموضوع، يا تانيا. ولكن فيما يتعلق بي، فأنا رجل عند حقا ويجب ان أرى بألم العين ان اجتماع هذا الزواج أمر مستحيل. انا لست مقتنعا حتى الآن بجمعية فشله.

كانت تقول نفسها منذ سنوات عدة انها تكرهه. وكم من مرة قالت لها والديها ان خطبا دقيقاً جداً يفصل بين مشاعر الحب والكراهية المتساوية من حيث القوة وعمق الجذور. هل كانت تصور طوال هذه السنوات انها تكرهه، في حين انها كانت في الحقيقة تحبه وتريده؟ نظرت إليه وحاولت إيجاد الشجاعة الكافية للرد عليه، ولكنها لم تتمكن من ذلك. فحمل من صمتها قليلاً، وقال:

- انا كنت خائفة من انني سأستغفلك، فسوف أتمهد لك منذ الآن بأنني ان السك.

- ليس هذا هو الأمر. انا لا أعترض، مع اني... مع اني...
- لن نتجاوز الحد الذي وصلنا إليه قليلاً، ما لم تطلي مني بالتحديد أكثر من ذلك.

شلت نظراته القوية المليئة قدراتها على التصرف او حتى الكلام. فسأها:

- هل توافقين على اقتراحي بأن نحاول التعرف حقيقة على بعضنا؟

تهدئت تانيا وودت عليه ايجاباً بكلمة واحدة فقط. وشعرت بأن جواً من العظمائية والسكينة خيم على المكالمة، وبأن تشككها من صواب قرارها زال واختفى.

- هذا يدعو لمرح إصفاً بالتمام، اليس كذلك؟
منحها جملته وقتاً كافياً لتغمض عينيها دليل للوافقة. كان

- أنا لا أتوقع ذلك.

- وماذا تتوقعين إذن؟ لا، لا تخبي علي هذا السؤال. انا أعرف ماذا تتوقعين. ربما ستطليين مني العودة إلى إفريقيا.

ابتسمت تانيا ورغما عنها بسبب عازجة الغاضبة لها، وقالت بصوت ناعم:

- قد أطلب منك الذهاب هذه المرة إلى المناطق القطبية. عادت الجليدية إلى وجهه بسرعة وقال لها:

- سألي جون اليوم اذ كان بإمكانك مرافقتنا بعض الوقت كما تفعل شيلا. ليس دائماً، ولكن بين الحين والآخر.

توقفت لحظة لم يتنظر خلالها جواباً او تعليقاً، ثم مضى إلى القول:

- انا بحاجة لبعض الوقت كي يتمكن كل منا من معرفة الآخر بطريقة صحيحة. قلت لك ذلك في الليلة الأولى لعودتي. ولهذا السبب ايضا لم أعاملك قبل قليل بالطريقة التي كنت أريدها. انا كنت غير راغبة في قضية أي وقت معي على انفراد في الوقت الحاضر، فمن لك يحارص أمين أفضل من صبي في السابعة من عمره؟

- أوه جايك. لا أعلم. اني حقاً لا أعلم.
أردت أن توافق، ان لم يكن لأي سبب فمعرفة ما اذا كانت العلاقة بينها أكثر من مجرد نزوات متقطعة ومغايرة. ولكن... لو كانت كذلك، فماذا ستجني؟ أدارت وجهها عنه بتمهل وبدأت تسير بهدوء نحو البيت.

- لدينا الآن زمن ووثيقة زواج. لا أعلم اذا كنا سنجد مستقبلاً طيباً لنا ام لا. ولكني أعلم بالتأكيد اننا ان لم نتم بأي محاولات لمرقة ذلك، فلسوف نظل نتساءل دائماً عما اذا كان بإمكاننا النجاح هذا الزواج... لو حولنا.

كان يلفق وراءها ويتحدث إليها بصوت جليدي ناعم. لم تحتاج او

- اعذري! أشعر... بقليل من التعب، واعتقد ان علي الذهاب الى النوم.

أحست بشيء دافئ وجيل للفتاة في نظرات جاك، عندما تمى لها عيشها ليلة سعيدة وهائلة. وشعرت بأن تلك النظرات أعادت الراحة والسكينة الى قلبها للعذب...

جسمها كله يريد ذلك العناق والتراخي، سبعلها فيها. حلقها لفترة قصيرة ولكن دون تسرع، فأحست بلهيب ناعم يلفح جسمها ويثير مشاعرها. ارتجفت رغبة، فالتقط السترة من الأرض ووضعها حول كتفها. هل تعتمد أسامة فهم تلك الحركة ومنزاعها؟

- هل أنت على استعداد للعودة الى المنزل؟

هزت رأسها موافقة، لأنها تعلم ان وجدها معه هنا على تفرد ليس الا لعباً بالثار. أحست بسعادة كبيرة عندما طوق كتفها بذرعه وأبقاها ملتصقة به. سرقت نظرة سريعة الى وجهه، فشاهدت ابتسامة سرور واكتفاء... وربما انتصار. ونساءلت عما إذا كانت تنصرف بغباء مرة أخرى! وسمعته يقول لها، وكأنه قرأ أفكارها:

- لن تدعي على قرارك أبداً. من المحتمل جداً ان كنتي

بفك أنتي شخص محب.

تصيحكت وقالت: لا محارمة.

- اعتقد ان بإمكانك تحويل النبرة المشوشة الى غائقة وديعة، فبأنك صممت على ذلك واستخدمت محرك وجديتيك.

- لن أجد في هذه لحظة الآن أي صعوبة على الاطلاق مع زوجة صغيرة طيبة.

- للمشكلة اني لست محرة.

- وأنا لا أريد مجرد قطعة وديعة.

ظهر والده أمامها بصورة مفاجئة، فحياء جاك يهدوه وكان وضع ذراعاه حول جسم زوجته أمر طبيعي للفتاة. وجهه جلي ذي نظرة استغراب سريعة نحو ثانيا، ثم قال وهو يتسم بمرور حقيقي:

- انها ليلة رائعة، ليس كذلك؟

- قمتا بنزهة قصيرة على شاطئ البحيرة.

لم تشعر ثانيا بأنها قادرة على الخوض في تفاصيل سخرية عن الطقس والطبيعة، فخلعت سترة جاك عن كتفها قائلة:

مشت تانيا بشمهل ومنعة على الطريق الحاصة التي تصل الشزل
بتقاطع طرق جانبية. وكانت الساعة تجاوز الثانية بقليل، مما يعني أنه
لا تزال هناك ثلاث ساعات قبل عودة جانيك من رحلته شبه اليومية
الى مكاتب الشركة في هاتفلد. كان يلعب أحياناً برفقة والده،
ويجده معظم الأحيان. وشعرت تانيا بالخوف من العزلة التي بدأت
تتربب فيها بشوق ساعة عودته الى البيت.

فتحت علبة البريد الموجودة في نهاية الطريق وراحت تتفحص
محتوياتها. وفجأة، برز اسمها واضحاً على أحد الظروف. لم يكن
هناك أي عدال للمخطأ أو الاشكال. كان الظرف معنوياً الى السيدة
تانيا لاسيتير. وكانت تعلم وهي تتفحص ان الرسالة في داخله ليست
الا من ياتريك راينز. حاولت مرات عديدة في الأيام القليلة الماضية
ان تستقر له رسالة توضيحية، ولكنها لم تجد في كل مرة سوى كلمات
باردة ورسمية للغاية. وقرأت بقصة رسالة القصيرة التي طلبها فيها
بمقابلته ظهر الاربعاء في معلم بريسمون تري واضاف انه ان لم
يجدها هناك، فسوف يعرف انها لم تتمكن من مغادرة البيت. وكانت
رسالة اسطرين اليتيمين موقعة باسمه الأول غلط.

وضعت تانيا رسالته في جيب سروالها البرتقالي، فيها كانت نظام
رغبتها في الاسراع الى الشزل والاتصال به هاتفياً للرد على طلبه.
امتنعت عن ذلك لأنها سوف تضطر للكشف عن اسمها لسكربتوتيه.
وبما انه لم يكن لديها في السابق أي مسبب يدفعها للاتصال به في
مكتبه، فان أي اهتمام مفاجيء به سيشجع الجال للأنسة الثائرة
كم تبدأ حملة قاسية ضدها.

لم يكن لديها غداً الاربعاء الوقت الكافي كي تقرر ما اذا كان
عليها مقابلته ام لا. وقالت تانيا لنفسها بانها تفضل ان رفضها ملاقاته
لن يؤدي الا الى تأجيل الأمور، لأن من المؤكد انه سوف يبعث لها
برسالة مدعلة. قد لا تكون محظوظة في المرة المقبلة، ويعثر على رسالته

٦ - الحلم المستحيل

مر الأسبوع الأول في فترة الهدنة المقفولة بينها بصورة عادية
هادئة، وكأنه ليس بينها اتفاق جديد بالغ الأهمية. ظنت تانيا في
بداية الأمر انه ربما كان يمنحها فرصة للتراجع. ولكن ذلك من
السخافة بمكان، لأن جانيك ليس من النوع الذي يسمح بتراجع احد
عن كلامه او عمله.

خرجت معه مرة لفترة قصيرة. ذهبوا وجونا، بعد انتهاء يومه
الدراسي، في رحلة لصيد السمك. كان الصبي سعيداً للغاية لوجود
والديه سوياً، مما جعل تانيا تشعر بالذنب لعدم مراعاتها قبلاً. امتنع
جانيك حتى عن النظر إليها مؤثراً ومعثراً، وانحصرت النظرات التي
تبادلها على الاعراب عن الارتياح والسرور المتبادلين لسعادة الصبي

شخص الغر.

أنا تذهب عادة للسوق في هاتيفلد، وبالتالي فإنها لن تثير شكوك أحد لو ذهبت قداماً. كانت تعرف أنها سوف تقابل باتريك، ولكنها لم تكشف لأحد المظف الحقيقي لأهلها... وبخاصة جليك. لم تصدق أنه سيقتهم لوضع حل حقيقته وعندما أعلنت في النساء عن قرارها الذهاب إلى هاتيفلد في اليوم التالي، نقل الجميع ذلك بصورة طبيعية. ولكنها لم تتجح بالسهولة التي كانت تتوقعها، لأن جليك اقترح عليها تناول الغداء معه.

اعتقت عيوبها بسرعة كيلا تفضح نفسها، ما هي الاعتذار التي يمكنها التعلل بها لرفض دعوته؟ شاهدتها مترددة، ففكرت معها فرصة الانسحاب بشموخ. قال لها بأساً:

- اتصور أن عليك عدم التعويل كثيراً على هذه الدعوة، لأنني قد لا أفكر من القصيص الوقت الكافي لوجوبنا معاً. ربما مرة أخرى؟ هزت رأسها وأبستمت باترياح، غائلة:

- مرة أخرى.

هل جعله وضوح عدم رغبتهما في تناول الغداء معه يشك بوجود حافز آخر اسمه باتريك؟ لا، لا يمكن ذلك. سيفضح الموم على ترددها في مقابلته على الأفراد. أراد جزء منها أن يؤكد له عكس ذلك، وأن يشرح له بالتفصيل أسباب اللقاء مع باتريك. ولكن صوته يارداً ظل يقول لها أن ذلك ليس من شأنه، وأنها ليست مضطراً للاقتراب عن حقيقة نواياها.

حجبت اليوم السوداء الشمس اليوم الثاني، وكان الفرع يدور مهدداً متوجداً. هطل المطر بغزارة ثم عاد إلى وضعه السابق، خفيفاً ومتقطعا. لم تكن ثمة خلفية مناسبة أكثر من ذلك الغطاء السري مع باتريك. الجو حزين وهي حزينة أكثر. كانت ترعج في ميلوتها أرتباكاً وضيقاً. لم تفعل شيئاً عملاً من قبل. وحل الرغم من حسن نواياها ونيل أهدافها، فقد شعرت بأنها تركب خطاً جسيماً. حاولت

جاهدة تناسي مشاعر الحجل للزائفة، التي كانت تشعل احمراراً غير طبيعي في وجنتيها.

وضعت المظلة بشكل قريب جداً من رأسها، كي تحمي وجهها وهي متوجهة بسرعة إلى المطعم. ولم تشعر بشيء من الأمان إلا عندما أصبحت في داخله. كان الوقت آنذاك ثام الثانية عشرة ظهراً. تفتت بعمق وهي تقترب من فتادة لبساطها عن باتريك.

- هل انت بمفردك يا سيدتي؟

- لا، سأكون مع السيد باتريك رايتر. هل تعلمين إذا كان قد وصل أم لا؟

- السيد رايتر، نعم، طبعاً. تقضي معي، يا سيدتي.

لهبت تالياً، وهي تتبع الشابة للهدية نحو نهاية الغرفة الطويلة الضيقة، سبب اختيار باتريك لهذا المطعم بالذات. أنه ممتاز لأن يربد الأفراد بأحد بعيداً عن عيون الفضوليين ومساكنهم. وكانت المتصورة التي اختارها باتريك لا تسمح لأحد احتلاقاً بأن يرواها. وقب بئس، فيما كانت تجلس إلى الجانب الآخر من الطاولة، وقال متحمساً:

- لم أكن أظن أنك ستأتين.

لم تتمكن تالياً من النظر إلى عينيها اللتين كانتا تنهتان شغفاً وهيماً. فتحت فمها لتشرح له سبب حضورها، إلا أن اللذعة صادت لتسأل بتهذيب جم عما إذا كانت بحاجة إلى أي شيء. الحست بأن الفهوة قد تساعد أعضائها المتوترة على الهدوء قليلاً، فطلبت فنجاناً كبيراً. كرر باتريك الطلب ذاته وحرف الثالثة قائلاً أنه سيستدعيها لاحقاً لطلب الطعام. ثم وضع يده يدهوه على يد تالياً للتخفيف من نوتر أعضائها، إلا أنها سحبتها بسرعة ووضعتها على ركبتيها المرتفعة. لم يتحدث أي منهما إلا بعد أن اضطرت الثالثة فنجاني الفهوة وانصرفت. اعتذر باتريك قائلاً:

- أسف لأنك تشعرين بمثل هذا الانقباض والانزعاج، يا تاليا.

الحق لو كانت ثمة طريقة أخرى لتكتنا من اللقاء بلرتياح.
هزت كتفها بعصبية وقالت:

- لا جيم كثيراً أين وكيف تلتقي هذه المرة. لم أحضر إلى هنا إلا
لأقول لك إن هذا هو اللقاء الأول والأخير بيننا.
لم يصدق ما سمعته أثناء غسائها بذهول:
- ماذا تقولين؟

- أسفة يا بارتريك. ولكنني لن أفكر أبداً بعد الآن من مقابلتك
على هذا النحو.
- ماذا؟ لماذا يا تانيا؟

- حاولت أن أكتب لك رسالة أشرح فيها أسبابي ودوافعي، ولكنني
كنت أجد كلماتي في كل مرة باردة وجافة وغير شخصية. ولذا قررت
مقابلتك اليوم كي أشرح لك... أنني ألتفت وبجانبك على محاولة
القيام بجهد لإنجاح زواجنا.

ظهر الغضب جلياً في وجهه وعينه وقال غداً وهو يحاول بصعوبة
بالغة السيطرة على انفعاله:

- ماذا؟ أنت خيرتي بنفسك أن زواجك من لاسيتر كان فاشلاً
وشكلاً، ولم يتم إلا من أجل الصبي. فلماذا هذا الاهتمام القاسي؟
بعد سبع سنوات من الانفصال لجعل ذلك الزواج حقيقة ثابتة؟
صححت معلوماتك بحدوثه، مع أنها تفادت الرد على سفرته
الحادة واللاذعة، قائلة:

- أتنا لم نبدأ فجأة بمحاولة إنجاح زواجنا. على أي حال، فمن
المحتمل جداً ألا نصل بنا هذه المحاولات أبداً إلى أي نتيجة إيجابية.
- إذا كنت تشعرين بالتشكوك إلى هذه الدرجة، فلماذا أزعجت
نفسك بقبول اقتراسه؟

قالت تانيا لنفسها أنها بدأت فعلاً بحب جايك، ولكنها لم تتمكن
من إعطاء ذلك طويلاً. وعندما سيكتشف أنها تحبه، ستهازل تلك
المشاعر الضئيلة من المحبة والشفقة التي ستتمكن من الفوز بها خلال

الأسهر القليلة. كيف ستتمكن من الاحتفاظ به إلا بواسطة جون؟
وهل ستكون قادرة على ذلك وهي تعلم بمدى الاستمرار الذي
سيشعر به جايك تجاهها؟ تنهدت وقالت لبارتريك:

- وافقت لأن جايك أوحى لي صراحة بأننا إذا اكتشفنا بعد فترة
تجريبية لا تزيد على بضعة أشهر أن زواجنا لا يمكن أن ينجح،
فالطلاق سيكون البديل الطبيعي.

خفف تفسيرها من حدة غضبه إلى درجة ملحوظة، وسألها:
- ألم يرد لي ذكر للطلاق في فترة سابقة؟

- لا، بسبب جون. اعتقد أن جايك اكتشف بنفسه منذ عودته إلى
البيت أنني لم ألتفت عنه بسوء إلى الصبي، أو أنني حاولت استمداه
جون على أبيه. والتصور أن جايك لن يشعر بعد الآن أن الطلاق
مبني عليه أنه وثقة.

أحزنت هذه الفكرة قلب تانيا كثيراً، ولكنها مضت إلى القول:
- يشتهر أن لاسيتر يعلقهم الشديد بالروابط العائلية. ومن
المؤكد أن جايك لم يكن ليفكر سابقاً بالطلاق معي، ما لم أكن أنا رغبة
أو راضية للتخلي عن جون.

ابتسم بارتريك باعتدال وقال:
- أسف جداً لأنني كنت قبل قليل غافساً إلى تلك الدرجة. يمكنني
الآن أن أفهم بسهولة سبب موافقتك على اقتراسه. ولكن... ماذا
يشالي أنا؟

كانت تعلم أن هذا السؤال لا بد من أن يطرح في نهاية الأمر.
وشعرت تانيا أنه سيكون من غير اللجدي أخلاقاً، بالنسبة لبارتريك،
أن يطالبه بالانتظار. تطلعت إليه بطريقة تشعره بمدى تصميمها
وحيات قرارها، وقالت:

- يجب ألا أراك بعد الآن. يا بارتريك.
- هل تعتقدين حقاً أن جايك سيمنع عن مقابلة شيل؟
صعقت تانيا لسماعها ذلك السؤال. لم تكن تعرف فعلاً ما إذا

كان جايك يقابل شيلا ام لا ، بالمشاء تلك المرة التي انصمت فيها اليه في نزته البحرية مع جون . ولكن باتريك هو شقيق شيلا ويجب ان يعرف اكثر من تانيا عن محرقاتها . اجابه يدهو ، وهي تستغرب ود فعلها اللائع على عن السؤال :

- لا اخبري ما اذا كانا يتبادلان لم لا ، كما ان هذا الامر لا يؤثر ابداً على قراري الامتناع نهائياً عن مقابلتك انت .

- هل هناك من سبب يجعلني على الانتظار ؟

- كلا ، ولنا لا اطالبك بذلك .

- رد عليها بكثير من المروءة والامس :

- هذا يوضح كل شيء بصراحة ، اليس كذلك ؟

- آسفة يا باتريك . الي حقاً آسفة . انا اعرف مدى اعجابك

...

- اعجابي بك ؟ رياء ، ماذا اسمع ؟

شاهد النظرة الملتفة التي ظهرت بجملة في عينها ، فابعد وجهه عنها وفجأة ، سالها يدهو لا يصدق :

- هل ابلغت جايك بانك آتية الي هنا ؟

- ردت عليه بصوت خافت متهدج :

- لا ، طبعاً لا !

- لقد دخل الآن لتوه .

- حاولت النظر نحو مدخل المطعم ، فعمس باتريك بحدته :

- لا ! لا نظري حولك !

- احست بانها تكاد تنفخ ، وسأله بصوت منخطف :

- هل شاعدا ؟

- لا ، لا اعتقد ذلك . انه مع ذلك الرجل ماكلود من دفتر جلما

لنوعها وظهر جايك الينا .

- ثم انضم بسخريه قاتلاً :

- تصور انك لا تريد ان يعرف اجتماعنا هذا !

- طبعاً لا ، ماذا ستفعل الآن ؟

- لا يمكننا ان نغادر هذا المكان دون ان نرانا . وبالتالي ، على الفرح باخلاص ان نتناول طعام الغداء .

- لم تأكل تانيا معظم الوجبة الخفيفة التي طلبها لها باتريك . كانتا جالسين بصمت ، اذ لم يعد ثمة شيء هام يتحدثان فيه . . . كما ان الوقت لم يكن مناسباً ليبحث في أمور اخرى كالطقس والسيارات وغير ذلك من الموضوعات العادية .

- اعتقد انهما سيذهبان . هما واقفاً وشبهان الآن نحو الباب .

- استظل هنا بضع دقائق اخرى للتأكد من ذهابها نهائياً . شعرت تانيا بانها اعطيت من حكم بالاعتماد . ظلت جالسة عشر دقائق تقريباً قبل ان تتوجه وباتريك الى مدخل المطعم كي تأخذ مظلتها ومظلتها الواقية من المطر . قال لها :

- ربما كان من الأفضل ان تغادر المطعم كل على حدة .

- هزت رأسها بالموافقة ، ومدت يدها لتردد تصافحته وهي تقول :

- آسفة ، يا باتريك ، لأن الأمور تطورت على هذا النحو .

- انا آسفة اكثر منك بكثير . خطاً سعيداً ، يا تانيا ، واخشى انك ستكونين بحاجة الى ذلك .

- غادر باتريك المطعم على عجل ، فيها غالت تانيا واقعة هناك بعض الوقت قبل ان تخرج بتنهال وتتوجه نحو سيارتها . وما ان اقتربت قليلاً حتى فحمت فيها دهشة وهلعاً لانها شاهدت جايك يجلس وراء اللورد . لم يكن اسمها جمال للهورب . انطلقت السيارة نحوها بسرعة وتوقفت بعف على بعد خطوات منها . نزل جايك بخصية واستدار حولاً لم فتح الباب الامامي بحدة فائقة . رأت تلك النظرة الغولاذية القاسية في عينه ، ففقدت اي أمل في إمكانية الشرح لو الايضاح . وقبل ان تخطو بصعوبة نحو الباب ، سمعته يسألها خافياً :

- في اي فندق تريدان مقابلته ؟

- شعرت بوطأة الاهلة الجريحة ، نصفتها بالقصى فوثها وجبت

عزة نفسها الدموع في عينها، حتى عندما امسك بكتفها وهزها بعنف شديد. خذرها حينها اللولافيتان ورأت مدى الانفعال الذي اتزله في نفسه، الا ان غيبه لم يخطف من شعور الادلال الذي غمرها نتيجة لانهاهه الكاتب. دفعها بقوة الى السيارة، ثم جلس وراء المقود وقادها بسرعة جنونية.

علمت انه سيذهب بها الى البيت، وكانت تعيسة لدرجة انها لم تأبه إطلاقاً للمظاهر الخلابه التي تنعم بها تلك المنطقة. كان صوته المطبق اشد ايلاماً وادانة تقريباً من كلماته السابقة، وكانت ان تبكي لها وعذاباً. حاولت مرات عديدة ان تستجمع قواها وتشرح له سب مقابلتها لباتريك، الا ان الكلمات كانت غوت عن شفتيها كثيراً نظرت الى وجهه المنحجر القاسي وعلامه المرجة.

لوقف السيارة امام المرقب، فقفزت منها بسرعة وتوجهت نحو البيت. كانت تأمل في الوصول الى غرفتها قبل انهار سيطرتها على اعصابها وانهمار الدموع غزيرة من عينها. كان جهاك اسرع منها، لا امسكها بعنف وسأفاً بلهجة قاسية:

- الى اين تظنين انك ذاهبة؟

اجابته بمزمار دافئة، وهي غير متبالية بأن تضيف كلماتها املاحاً حارقة الى جروحها:

- للاتصال بباتريك طبعاً، كيلا يفلت عندما لا يحضرني في القندق!

وهل تظن ان ثمة سبباً اخر يدفعني الى الدخول بمثل هذه السرعة؟

- اورد ان اتقي عتقك الحائز بجائز اليدين.

ووضع يديه القويتين حول عنقها وكأنه على وشك تنفيذ تهديده، ثم قال:

- لم تشمل الصفقة التي توصلنا اليها اي بند يسمح لك بمقابلة باتريك على هذا النحو. ماذا كنت تتوهم ان القيام به؟ استغلانا معاً؟ وجدت صعوبة كبيرة في اخراج كلماتها القاسية المستاعة، ولكنها قالت:

- معلوماً انك الخاصة، يا سيد لاسيتر، لم اكن احاول استغلال اي شخص على الاطلاق. التقيت باتريك لابلغة بانني لن اقبله بعد الآن. ولؤكد لك بانني لا ايلال ابداً اذا كنت مستعدني ام لا - لا يمكنني ان احمل الكلب على. ان لم يكن كلامك هذا صحيحاً، فسوف اعرف الحقيقة في نهاية الامر.

فاحت عينها عندما اصبح عنقها طليفاً من قبضته القاسية، وتتممت قائلة:

- هذه هي الحقيقة يا جهاك. تصورت ان من الاتصاف فقط ابلاغه عن اتفاقنا على...

اجهشت بالركاء فاحتفت بقية الكلمات في حلقها. احتت رأسها وراحت تخطف الدموع التي انهمرت على وجنتيها. وضحك جهاك بانزعاج وهو يقول لها:

- يا لك من انثى غبية وبجونة! عندما شاهدتك مع رايتز في تلك الزاوية اللعينة من المطعم، ادرت ان هذا اللقاء كان سبب هلعك امسر عندما دعوتك الى تناول الغداء معي. شعرت بانني سأفرح كثيراً لو ضرتك معاً. اضطر ستيف ماكلاود ان يكرر نفسه مرات عديدة، لأنني لم اكن اركز على كلامه. كل ما كنت افكر به آنذاك هو وجودك معاً في لقاء عني، ولجهاك باستخفاف للانطلاق التي توصلنا اليها لتونا.

نظرت اليه بشعور وقالت بصوت لا يزال ضعيفاً ومنهدجاً:

- لم يكن الامر كذلك على الإطلاق.

مد يديه نحوها حتى كادت ان تلامسا كتفيها، الا انه اعادها الى جرتيه في اللحظة الاخيرة. شعرت نانيا بان غضبه زال تماماً، وتأكدت

لها ذلك عندما امسك باحدى يديها بركة ونعومة قائلاً:

- اعرف ذلك الآن. الى اذن لك بالاعتذار، وهذه المرة لقدمة لك دون تردد. كان على الا ايهلك قوياً، أو على الأقل ان استمع الى تبريرك لما حدث.

تحدثت ثانيا بقوة لأنه فاجأها بكلامه هذا الذي لم تكن تتوقعه.
سأنته بتردد:

- هل تصدقني؟

ابنسم بحدان واجابا:

- نعم، اصدقك.

اذا كنت ان تلقي بنفسها بين ذراعيه وان نقلت هناك حتى يذوب
عذابها ولها الشديدين. بذلك شقيتها بلسانها، وهي تذكر انه
لاحظ ذلك بسروور. ثم قالت له بدهو وارتيح:

- شكراً لانك صدقتني. كان علي اخطائك على ما كنت انوي
القيام به.

- لم نصل بعد الى المرحلة التي يتق فيها الواحد منها بالآخر. الا انه
كان لهذه الحادثة للؤسفة جانب ايجابي سمح لكل منا بمعرفة المزيد
عن الآخر.

- ماذا تعني؟

- كنت تعرفون دائماً انني ذو مزاج عصبي كرهه. ولكنني امل ان
لكوني الكشفت اليوم انني قادر على الاعتراف بالثوب عندما ارتكب
خطأ.

كانت ملاحظه تنسم بالود والحنان ليس الا، عندما مضى الى
القول:

- كذلك علمت اننا انك لا تصعدن خداعي. اننا سعيد لانك
انسانة صادقة واثقة، لاني لست من صنف الرجال الذين يسمعون
بامتثالهم.

- اعتقد انني كنت اعرف ذلك.

وادارت وجهها ثانيا نحو لبيت، الا انه قال لها بصوت
منخفض:

- لم تمكني اليوم من التسوق في هاتفيلد. وما انني مضطر للعودة
الى المكتب، فمراقبتك لي ستكون على الرحب والسعة.

ارغمت نفسها على توجيه ابتسامة خفيفة له وتابعت سيرها.
وكانت تلقن انه سينجح بها. ولكنها ما كانت تصل الى الباب، حتى
سمعت صوت التحرك وشاهدته يتطرق بالسيارة نحو الباحة.

عاد جايك ووالده، فبنا كانت ثانيا تعد طارئة العشاء. خرجت
جوليا لاستقبال زوجها وابنها، وانضم اليها بعد لحظات صبي سعيد
يتشوق لرؤية ابيه وجدته. وقمت ثانيا لوان يامكانها الخروج كزوجة
عائبة لاستقباله والترحيب به ووالده، الا انها اكتفت بالبقاء في غرفة
الطعام والاستماع الى اصوات الاشخاص الاربعة في الخارج.
سمعت جوليا تسأل جايك بصوت مرح عما يحملة بيده، وتبع ذلك
سؤال مماثل من جون.

- انها هدية. اين والدك؟

- لا اعرف.

- انها تعد للثالثة يا بني.

وسمعت ثانيا صوت اوراق تتمزق ويحون يقول:

- انها جميلة يا ابي.

ثم سمعت صوت اقدام قوية تقترب من غرفة الطعام، فحسبت
انفسها. جايك قادم لرؤيتها. اذارت وجهها بعيداً عن الباب،
وراحت تعبت باللائق والشوك الفضية للوضوعة بعناية قرب
الصحن الخزفية الثمينة.

- يبدو لي الطائفة جميلة جداً ولا تستدعي المزيد من الاهتمام.
بدأت ثانيا تردد كلمات الترحيب المعتادة، وهي تشير نحوه
بدهو بالغ:

- مرحباً يا جايك. علمت بوصولك انت وجاي دي. سيكون
العشاء جاهزاً خلال فترة وجيزة.

تحولت ملاحظه الهائلة الى دغشة ذاهلة وهي تحرق بياقة من
الورود الصفراء الرائعة كان يحملةا بيديه. ابنسم لها برفقة قاتلاً:
- هله الورود لك، اني نأخذها؟

اخذت ثانياً الباقية يدين مرلتين ولامستها بأنفها، كي تتم
بالزيد من خطر واتحتها. . . وتؤكد من انها حليفة.
- هل تصيبك هذه الورود؟
- انا. . . انا رائعة. ولكن لم تكن بحاجة لأزعاج. . .
فاطعها بصوت دافئ هائس، قائلاً:
- احببت ان احضر لك باقة من الورود.
حزنت ثانياً لأن الورود كانت هدية اعتذار عن تصرفه الغاضب،
وسألته بنبرة:

- هل احضرتها بسبب ما حدث بعد ظهر اليوم؟
اجسم بطريقة مذاعبة جعلت فمها تعف وتساخر، وقال:
- انت لست طفلة لرفه عنها واعيد البسمة الى وجهها بمجرد
احضار هدية لها. لا يمكننا، يا عزيزي، التعميخ عن الآتي الذي
الحقه كل منا بالآخر طوان السنوات الماضية. بإمكاننا فقط ان نحاول
عدم إيذاء بعضنا في المستقبل.
- فلماذا الورود إذن؟

- لأنني اردت ببساطة اتياع بعض الورود القريفة لامرأة قريفة.
هل يكفي ذلك؟

- نعم. لم يأتي احد من قبل بأي ورود على الاطلاق.
تسمرت في مكانها عندما شاهدت وجهه يقترّب من وجهها. احر
وجهاً كثيراً وقالت له بصوت منخفض متلعثم انها مضطرة لوضع
الورود في الماء. كانت جوليا واقفة في المطبخ عندما دخلت ثانياً
لاحضار الماء. نظرت اليها بعين تنصّجان فضولاً واستغراباً،
وتتظران توضيحاً أو تفسيراً لهذه الخطوة المفترضة. ولما لم تحصل على
أي ايضاح، قالت لها بنبرة مصطنع:

- انها ورود جميلة جداً، اليس كذلك؟ لماذا لا تضعينها في ذلك
الآناء الشرقي الكبير؟ ستكون رائعة في منتصف المائدة.
رفضت ثانياً ان يشاركها احد في تول هدية عاطفية لها من جانبك،

وقالت:

- ان لم يكن لديك مانع، يا جوليا، فلي افضل وضعها في غرفتي.
تراجعت جوليا لاسيتر ببرودة وكان احداً صفعها بعد تلقيها
اقتراحاً ودياً للغاية. وقالت:

- بالطبع يمكنك اخذها الى غرفتك. كانت ذكوة المائدة مجرد
اقتراح بسيط. انا اعلم ان جايك احضرها لك انت.

اوحى لهجة جوليا بانها تعتبر نفسها اجدر من ثانياً باستلام مثل
هذه الهدية الرقيقة. وتهدت الزوجة الشابة، رافضة بعناد التراجع
عن قرارها على الرغم من العتاب البظن في كلام جوليا. كانت تعلم
انها ليست وروداً حراً. . . ورود الحب، وانها لا تعني سوى لفنة
وفدية من جانب جايك. الا ان اهميتها البالغة تكمن في انه اعطاها
شيئاً دون ان يشعر بأنه مرغم على ذلك.

لما اخذت ثانياً بنفسها في وقت لاحق من تلك الامة، اخذت
تلك الورود الخاصة التي لامستها اصابع جايك ووضعتها على
وسادتها. وشعرت ان تلك الخطوة الغريبة البسيطة لم تكن الا اعترافاً
صرحاً بحبها لزوجها. كانت تحارب هذا الحب وتقاوم الخيلولة دون
قيامه، لأنها تعلم انه سيلحق بها في نهاية الأمر ألاّ أن تتمكن من
استمالها. شعرت بشيء من المرء عندما اقتعت نفسها بأن الحب لن
يكون حياً بالفعل، ما لم يمنحه لها جايك ويداها حوله. وصممت على
الا يعرف ايها انها لم تد فيه اكثر بكثير من مجرد الحاذية والاثارة.
خرجت الى الحديقة وهي تحاول خداع نفسها بانها لا تريد رؤيته
الآن الا لشكره ثانية على احضاره الورود الجميلة. ولكنها وجدت
والده عرضاً عنه، فسأقا بأساً:

- هل تبحثين عن جايك؟ انه في غرفة الكتب يطلق على بعض
الحفوط العريضة والمواصفات الأولية مشروع جديد. واعتقد انه لن
يتضائل ايدياً من جراء ذلك اليه.

اصحلتها توقعات جاني دي الصريحة، فقلت له كاذبة:

- لا، لم اكن ابحث عنه . فذهب جون الى النوم وشعرت ان برغبة
للتشقق القليل من الهواء النعش قبل ان اعمل نفس الشيء .
- فكرة لا بأس بها . اجلسي . انها ليلة عذبة وساكنة .
جلسا بصمت ضبع لحظات كانت تانيا ان تنسى اخلاها وجود
شخص اخر قربها . ثم سمعته يسأها بهدوء :
- يبدو ان العلاقة بينكما تتحسن باستمرار ، اليس كذلك ؟
لم تعلق بشيء . هل ذلك السؤ ال الذي لم يتطرق موجه ردا عليه ،
فعاد يسأها :

- هل زالت كراهيتك لاني يا تانيا ؟
ردت عليه ليجابا بكلمة واحدة ، وتطلعت الى جهة اخرى آمنة في
انهاا محاولة لم تبدأ بعد .
- اعتقد انك ضلعا تبت الى هنا كنت تذكرين نفسك كلما نظفت
بالتك مضطرا لكرهه طانا حيث . ولكن ، بالطبع ، حرمت الزمن من
تلك اشعة التي كنت تتوقعينها من جراء اتعاس رجل طواف حياته
بسبب خطأ جسيم ومؤسف .
- ربما كان ذلك صحيحا ، او ربما ان الزمن يضع الامور في اطرها
الحقيقية . لا يمكن للانسان ان يدين شخصا طيلة عمره بسبب افة
الهمة واحدة .

انقسم الرجل بارتياح وقال :
- انا سعيد جدا بكلامك هذا يا تانيا . والتي ياخلاص ان تسنج
لكما الفرصة لجعل زواجكما يسير في الوجهة الصالحة .
حيث مسحة حزينة على وجهها وقالت :
- لا اعول كثيرا على هذه المحاولات ، يا حاي دي . فزواجنا لم
يكن مبنيا على الحب .

- الحب يا عزيزتي كشجرة الارز التي يمكنها ان تنمو في اصعب
الاماكن . . . الاماكن التي يبدو ان ليس فيها امل لبقائه والنمو .
والحب الذي يشبه هذه الشجرة الزائفة ، والذاتة على تحطى جميع

الصعوبات والعراقيل ، هو اضمن واغلى من اي حب اخر .
ردت عليه بصوت متعذب مثالم :

- لا . . . (رجوك) اعرف انك تحاول التاكيد لي بان شيئا عظيما
يمكن حدوثه بعد سبع سنوات . ولكن ، لا تحاول ان تبني آمالا كبيرة
على ذلك .

ثم اضافت بعين دامتتين :
- حب كهذا اشمه ما يكون بالاعصوبة ، ولا تصور ان مثل هذه
الاعاجيب تحدث هذا العالم .
- لم اقصد مضايقتك يا صغيري .

قامت تانيا من كرسيها وهرعت الى البيت . رفضت ان تدع حلمه
للتحليل يسيطر على قلبها وفؤادها . كانت تعلم حقيقة انه ليس لهذه
المحاولات اي امل بالنجاح .

قالا جديك بلهجة حازمة لا تقبل الاعتراض او حتى المناقشة،
فلتصاع الصبيان الصغيران صاعقين وسارا نحو المخزن العام.
وضع جديك يده على مرقق ثانيا وقال بحازمة:

- يا ولدني القردين الجميلين!

ضحكت ثانيا وردت بمرح بمثل:

- كنت أتوقع ذلك عندما اقترحت على جون احضار أحد اصدقائه
الى مدينة رجال البحر... مدينة الدولار القضي.

زادت ابتسامتها من خلابة احرار وجنتيها، ولم يكن ذلك بسبب
حرارة شمس الصيف ولا لأنها كانت تبدو جذابة جدا تتبعها عيون
المعجبين كيفما سارت. كانت مرتاحة للتودد الدافئ الصادق الذي
يصلو بعفوية وحسن ظاهرين من الرجل الذي يسير قريبا، والمعلقة
عليه اللامعة ينير منذ انتهاء مدرسة جون ويخرج العائلة في زهات
ورحلات متعقدة.

أعطى الصغيران تذكيريهما الى الشخص المنزول ودعلا احد
مراكز التسلية في مدينة الملاهي الشعبية. اتسم جديك وقال
لزوجته:

- هذا الصبي داني من الذين يطرحون أسئلة عديدة ومزعجة.
شعرت شاء حضورنا الى هنا بأنه يستجوبني كمحقق عدلي.
- هذا ما كان يقوم به فعلا. داني جينيرت هو الصبي الذي أحرب
بفون عن شكوكه بأن لديه والدًا في إفريقيا، أو أن ليس لديه والد على
الأطلاق. ولهذا السبب بالذات، راع داني بساكت بحماسة منقطع
النظير عن الأسود والفهود.

- ولا تنسي الفيلة.

- وكذلك الزرافات. أعتقد أنك خللت جون كثيراً عندما
أخبرت داني أن معظم هذه الحيوانات موجودة ضمن حدود معينة لا
يمكنها تجاوزها.

- كان عليك تحذير مسبقاً بأن داني هو المحرض الأساسي على

٧ - المحطة التالية

كان الصبيان الصغيران يلعبان ويمرحان... ويصرخان.
واخيراً، وضع جديك اصبعه في فمه وأطلق صغيراً مفرعاً أحدث
سنتاً فوراً... وحمل ثانيا على الانبسام.
- سندهب أولاً الى ذلك المكان الرائع الذي يسمى فنلق
المعجوز.

اعترض جون قائلاً:-

- ولكني أريد الذهاب أولاً الى منطقة أرض النار!
أبدته في ذلك زمينه في اللوحة ذاتي جيلبرت، قائلاً:-
- وأنا أيضاً.

- فنلق المعجوز أولاً، ثم الى أرض النار.

كتابة تلك الرسالة التي أعلاني اني الوطن. كنت اخترت له قصة طويلة من رحلة سيد شجاعة في الأدهل والبراري.

- أعتقد ان جون مرتاح جدا لمجرد عودتك الى البيت.

نظر اليها بتمعن وسألها هل هو منسوخ:

- وماذا بالنسبة لك يا تانيا؟ هل أنت سعيدة أيضاً بعودتي؟

وقضت الرد على سؤاله ببغدية، وقالت له بمحاورة:

- ثمة أوقات يكون فيها وجودك هديداً وناقصاً، فأنت مثلاً مرب

ممتاز بلون.

لم يحاول دفعها الى التصريح بأكثر من ذلك، لذا اجتم

وقال:

- جميل ان يكون الانسان ناقصاً في بعض فترات حياته. ها ها

يعودان!

خرج جون وداني من الباب بحماس ومرح شديدين لا يوازينا

شيء سوى فقتها لدخول ذلك البني قبل قليل. وسأل جون والده

بشوق بالغ:

- أين صعدنا لتاليا؟

قالت تاليا انها اقترحت ان يحمل الشخص لبيع السكر والخضروات.

وبعد ربع ساعة كان الأربعة يخرجون من ذلك المكان وهم يأكلون

بسور حلوياتهم اللذيذة. وسأل داني والدي صديقه اذا كان

بإمكانهم جميعاً الذهاب الى تلك البقعة التي تمثل قرية للهنود الخمر.

وعندها هز جانيك رأسه موافقاً، لمسك داني بلواح جون

وقال:

- هيا بنا، لنذهب الى الجسر المعلق.

سار جانيك وتانيا وراءهما بهتول وهما يتأملان ما يجري حولهما من

تروية وتسلية ومرح، وشاهدتا فتاتين مراجلتين تسيران نحوهما بسرعة

وهما تضحكان وتستهزآن، دون ان تنظرا امامهما. كلت احدي

الفتاتين ان تصطدم بجانيك لو لم يضع يديه امامه ويوقفها. رفعت

رأسها نحو وجهه بدعشة واحمرت وجنتاها بسرعة طافقة قبل ان تقول
له متلعثمة:

- اعذري؟ أنا أسفة!

ترك كتفها وضربها بمرح وهو يقول لها بمزاح:

- كان ذلك من دواعي سروري، يا أسة.

أحست تانيا من نظرات الدهول التي وأنها تهين عل وجه الفتاة،

ان جلالية جانيك وسحره سحلا انتصراً جليداً. سمعت الفتاتين

تألوكن بأعجاب ظاهر وهما يتعدلان عنهما، وشاركتها أصمناً كلمات

الأطراء التي تبادلنها عن جانيك.

- ولماذا هذه الانتباهة الحبيثة، يا عزيزي؟

أردت ان تفيظه قليلاً، فقالت بلهجة ساعرة بعض

الشيء:

- أوه، ظننت هاتان الصبيتان أنك وسيم جداً.

- وهل نوالفنيها على رأينا هذا؟

تظاهرت بأنها تتأمل وجهه بتسحر، وكان صورتها تحت مطبوعة

في رأسها ورشها، وقالت بتهميل مزاح:

- أعتقد... أعتقد أنك متطرس الى حد، مما يبرمك من

الوسامة الحقيقية.

سمعت ضحكة خفيفة ورادها فيها كان يطوق خصرها بلراحيه

ويقول مداعباً:

- تانيا لاسير، أنت تغاليزيني الآن.

انطلقت من موضع يديه موجات حرارية قوية عشت كافة أنحاء

جسمها ولكنها لمسكت بلراحيه في محاولة لايعادها عنها، وقالت

لاعت:

- لا، لم أكن.

اجابها برقة وهو يحدق بشفتيها:

- لا بل كنت، وسوف تتحملين مسؤولية هذه المضاعفات.

- جايك، فنانس برقوقنا.
نظرت حولها بسرعة فلم تشاهد أي شخص فرمها، ولكنها مضت
إلى القول:
- كذلك... كذلك فانا لا أرى جون ودائي.
وضع إصبعه على خدها الوردي وقال لها بهدوء:
- إذا كان الولدان السب الوحيد لماتت، فستنظر وقتاً يكون
مناسباً أكثر من الآن.
لحقا بالولدين الصغيرين فيها كانا يراقبان تجاراً ماهرًا يحضر لشكلا
أخشية جديدة. وشاهداهما أمام الباب تمثالا خشبياً لأحد الهنود الأحمر
يقف بشموخ وعقوان وهو يضع خراجه على صدره. سأل جايك ابنه
بهذه:
- هل تحب أن تراه يجرس حديقة البيت؟
- اعتقد أنها فكرة رائعة، ولكنني أظن أن جيلش لن توافق على
ذلك.
وضع جايك يده بحثاً على رأس الصبي، وقال له ضاحكاً:
- أظن أنك على حق يا حبيبي.
ثم نظر إلى تانيا وقال:
- اني أحسد هذا الفتى.
ولما أصبحت استرخياً وسأله عن سبب ذلك، قال:
- ليس لدي قلب خشبي مثله.
تسلخت دقات قلبها عندما سمعت تلك الكلمات المختارة بدقة
وعناية، والتي صدرت عنه بقوة وروية. أنه يغازلها كما كانت تغازل
قبل قليل. وكان من حسن حظها أن الصبيين كانا هناك. فحاولت
اتباعها البهيماء... بعيداً عن ذلك البريق المزعج في عينه. سألها
وهي تعرف مسبقاً أنها ستحظى برد إيجلي لوري:
- هل تريدان الآن زيارة النجم؟
ونظرت إلى جايك باسمه وقالت:

- كنت سأفترح معمل الزجاجيات والحرفيات ولكنني أخشى أن
يتصرفا كثرين حاجين يطمعان كل شيء حولها.
سألها جون وهو ينظر بملل نحو والده:
- هل ستأتين معنا هذه المرة؟
كانت تانيا على وشك الموافقة، عندما وضع جايك يده فجأة على
كفها وقال:
- لا، أتعجب أنت ودائي بمقدوركما.
بعد دقائق معدودة، كانت تانيا ترقب الولدين وهما يدخلان
النق. كان جايك يقف وراءها مباشرة، والحرارة اللبنة من جسمه
أقوى من حرارة الشمس. وسمعتهم يسألها بالهمز:
- هل لديك أنت؟
- هل لدي ماذا؟
- هل لديك قلب خشبي؟
ضحكت تانيا في محاولة لإظهار سؤاله كأنه نكتة طريفة،
وقالت:
- طبعاً لا.
- لو افترضنا أنني أصبحت أميك، لماذا ستفعلين؟
انصرفت عيناهما ذهولاً وأخوفاً، فقال لها على الفور بلهجة ساخرة:
- لا تخافي، يا عزيزي. لم ألتفت عن الحب إلا افتراضاً.
استدارت عنه بسرعة وهي تبحث حائرة عن سبيل للتهرب من
حديثه، ثم التفت قائلة:
- لم يخطر هذا الموضوع ببالي أبداً، وعنيه فاني لا أوري ماذا
سأفعل.
- ماذا لا يمكنك افتراض ذلك؟ أنت امرأة جميلة وجذابة،
وعلاقتنا تسير على ما يرام منذ شهرين. أصبحت متأكداً الآن من
أنك لم تتخارذ. ومن أن لديك نظرة جديدة بالنسبة للأمور التي أصعب
بها واحترمها. وبخلاصة القول إن لديك معظم الصفات التي أريدتها

في الزوجة. وأنا أعتقد هنا عن زوجة حقيقية.

أحسنت بأن رجليها لثخان صعوبة بالغة في حلقها، ولكنها مزاحمة
قائلة:

- ها قد عدت لعلزائي مرة ثانية.

- ربما. ولكن ما قلته لك هو الحقيقة بعينها. حدثت إلى الوطن وإلى
البيت، وأريد أن أبقي. تعجبت كثيرا بفكرة وجود بيت وحيدة
وعائلة، وزوجة جميلة تعد لي الطعام وتحضر لي أورداتي وملفاتي.
عندما انظر إلى جون، أتصور بجدة أنه سيفرح كثيرا بوجود
شقيق... أو ربما أخت صغيرة ذات عيون جميلتين وشعر أكثر
جذاب.

- لا... لا تتحدث هكذا!

حاولت أن أبتعد عنه لانتقاط أنفاسها، ولكنه أمسك بكففيها
والتصقها بصدره. ثم سألتها هامساً:

- لم يزل هل ما زلت تحسّن صعوبة بالغة في ميلاتي الحب، حتى
بعد هذه العلاقة الجميلة الرائعة التي قامت بيننا طوال الأسابيع
الماضية؟

- لا... أهني... نعم...

شلت مداعمتها لأنها وعظمتها جميع قدراتها على التفكير بروتية
وسكنية.

- اعتنيتي جوانا واحدا. نعم لم يزل؟

أحسنت بحاجة يائسة للابتعاد عنه قليلا، وقالت له بصوت
خافت:

- أرجوك يا جايك. لا أقدر أن أفكر بطريقة صحيحة وسليمة
عندما تداعبني على هذا النحو.

- هذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

- انها لا تعني شيئا. كل إنسان يتجاوب مع المداعبة والمغازلة.
أحسنت بفراغ هائل يعصر قلبها عندما لم تعد تشعر بلمساته

ومداعباته، إلا انها استجمعت قوتها ومضت إلى القول بهدوء
مصطنع:

- أنك تعجبتني. أعتقد أنك والد جيد، وكذلك رجل وسيم
وجذاب. ولكنني لا أظن أنني على استعداد لتعقيد حياتي بوقوفني في
حيث.

- كيف يكون وقوعك في حبي سببا في تعقيد حياتك؟ من المؤكد
أن هذا الأمر سوف يجعل حياتك طبيعية وعالية من التعقيد، بما أنك
فعلاً متزوجة مني.

وجعلت ثانياً نفسها في فح من صنع يديها، فاحتجبت بالقول:

- أنك لا تفهم الموضوع.

- أحاول ذلك قدر استطاعتي. ربما كان عليك إيضاحه بصورة
أفضل.

- لا... لا أظن ذلك.

تحولت نظرات الاستغراب في عيني إلى حدة وانتباه، وسألها
ياسميناً:

- لم يزل؟

- لأنني ببساطة، لا أريد ذلك. ليس الآن، هل لي حال.
- أنا لا أحب معك يا ثانيا، أتى أحذثك بجدة بالغة عندما أقول
لك أني أريد النجاش زوجات. لم يكن الأمر سهلاً، ولكننا تمكنا في
الأونة الأخيرة من تناسي الماضي الألم. لا تحلوني التمسك بمرارة
الماضي القديمة، لأن ذلك لن يؤدي إلا إلى إلحاق الماراة بالمستقبل
والفساد.

تهللت بحزن وقالت:

- أعرف ذلك. ولكن ثمة أشياء معينة لا يمكن للإنسان أن يتساهل
بسهولة، منها حلول جاعداً.

- يجب أن ننسى يا ثانيا، يجب أن ننسى، وألا ذهبت جميع
محاولاتنا عيان.

- أنت قلت بنفسك، يا جايك، إن هذه الأمور تتطلب وقتاً.
التمني وحده لن يزيلها.

سألها بصوت ناعم وهو يلير وجهه عنها:

- هل تعتقدين بأن ثمة أملاً في النجاح؟

نظرت إلى عييه شبه الغمضتين، وغممت قائلة:

- أحياناً. أحياناً اعتقد ذلك.

ابتسم وقال لها بلهجة توشي بشفة كبيرة:

- ألي مضطر حملك على استبدال كلمة أحياناً بعبارة أفضل...

معظم الأحيان.

- أليس لو كان بإمكانك ذلك يا جايك.

أضحت رأسها قليلاً ولكنه أمسك بذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:

- كل ما عليك القيام به هو مقابلتي في منتصف الطريق. أنا لم

أطلب منك أبداً أن تكوني أنت التي تعطي كل شيء. وتقوم بكافة

الخطوات الضرورية. ولكن الزواج ليس مشروعاً بقدراسمه اثنان

بنسبة خمسين في المئة لكل منهما، كما يقول بعض الناس. كي يكون

الزواج ناجحاً يجب على كل من صاحبي العلاقة أن يشارك بنسبة مئة

في المئة.

- ألم تتصور أبداً أنك ربما كنت تتطلب الكثير من

كليتنا؟

- ألم تتصورني أنت أبداً أنك ربما كنت تعطين من الحبة قبة؟

اسمعي! أناخذ هذا الموضوع بهدوء وروية، وتتوقف عن محاولة دفع

الأمور بسرعة لا تتحملها.

ابتسمت تانيا وسألت:

- هل لديك ثقة عمياء بالمستقبل؟

- ألا تعتقدين أن بإمكانك إرشادك إلى الهدف الصحيح وإلى

شاطئي الأمان؟

شعر بأنها غير راضية في الإجابة، لأنها سوف تضطر للاعتراف

بشيء ليست مستعدة بعد قناعاً للاعتراف به. أمسك يدها وقال
بحنان:

- ها قد عاد الشايك الصغيران. أحدي نلستك لمجموعهما. أرض

النار هي محطتنا التالية.

قاموا بجولة كبيرة شملت أرض النار وبيت الشجرة والبيت

العائم، وتوقفوا مرات عديدة للتفرج على كيفية بناء غرفة من جذوع

الأشجار، وصنع الشموع. وشاهدوا عدداً كبيراً من الحرفيين

الموهوبين وهم يعملون أمام حشد من المتفرجين. تعلموا كيف تصنع

الأحوات الفخارية والحرفية، وكيف تحاك الأغصية، وكيف تلمع

الأحشاب. ثم أعلن جون لأنه أنه جائع، ووافق داني على ذلك

بسرعة ودون تردد. نظر جايك بأساً إلى وجتي تانيا الورديتين،

وقال:

- وأنا أيضاً جائع، يا أماء.

رحت عليهم بمرح، وهي تحاول إغواء الحياء الجبول الذي بدا

على وجهها بسبب جلته:

- هيا بنا إلى السيارة.

- أين ستناولون غداء الزهرة يا تانيا؟

- على صخرة الألهام.

- إلى صخرة الألهام إذن.

وقع جون رأسه بمجرد الانتهاء من أكله، وقال:

- لنصعد إلى قمة التلة.

نظر جايك نحو تانيا بتحد ومرح، وسألها:

- هل أنت مستعدة لذلك، ألم أنك صعدت اليوم تلالاً بما فيه

الكفاية؟

- لن أرفض التمتع بهذه المناظر الخلابة مهما كنت متعبة أو مرهقة.

وقف جون وداني صامتين وهما يتأملان تلك المنظر الفريد. وقالت

تانيا بصوت ناعم هلهي:

- انها رائعة، أليس كذلك؟

طوق خصرها بذيابيه وشدها نحوه قليلاً، ثم قال:

- يقول العلماء ان هذه المرتفعات للسمة لئلا أوزارك هي القدم جبال او مرتفعات في هذه القلعة. وانه لأمر مثير للدهشة انها لا تزال تبدو غير متأثرة بالخصارة والمدينة على الرغم من هذه السنوات الطويلة.

- أي، كم عمر هذا الممر الذي يقولون ان احداً لا يعرف لعمري؟

- أجبت مؤثلاً بنفسك، لأن احداً في الحقيقة لا يعرف كم

عمره.

- لماذا لا يعرفون؟

- عندما أتى المستوطنون الأوائل في القرن التاسع عشر، كان الممر موجوداً ويربط بين منطقة مالبور وديوي بولد ثم ينطلق من هذه الأخيرة مئات الكيلومترات إلى العالم الخارجي. قال هؤلاء المستوطنون ان الصيادين وتجار القرو استخدموه قبلهم. وقال الصيادون ان المستكشفين الفرنسيين والاسبان تغلقوا عليه، وكان يرشدهم عدد من القنود الذين استخدموه قبل المستكشفين. وقال القنود ان الممر كان هناك قبلهم. ولذلك، كما ترى، أطلقت عليه تلك التسمية الصحيحة... الأمر الذي لا يعرف أحد عمره. هر جون رأسه وعاد يتأمل باعجاب بالغ ذلك لشطر الساحر. وسمعت ثانياً صوت زوجها يكتها هامساً:

- انه صبي ذكي.

- ولكنه جندي كثيراً لي بعض الاحيان.

- انه يبدو لي الآن صبياً طبعياً سليم العقل والجسم. انك تطلقين

كثيراً بشائه، يا حبيبتي.

قاومت رغبته في الانصياع به ومطالبة بعدم التوقف عن مداعبة

شعرها وعنفها، وقالت له بدهوه مصطنع:

- أتصور ان ذلك صحيح. ولكن سبب هذا القلق هو نتيجة

اضطرابي لأكون الأم والأب في نفس الوقت.

ضغط عليها بلواحه القوية وقال:

- لم تعد لمة حاجبة لذلك بعد الآن.

نظرت إليه بارتياح ووجهت له ابتسامة سعيدة وهي تقول:

- احرف ذلك.

- سيأتي يوم أقبل فيه الدعوة الصريحة من شفتيك، بغض النظر

عما اذا كنا على انفراد ام لا.

لذارت وجهها عنه لتخفي احمراره القاسي، وأشارت الى شجرة

قائلة:

- انظر، انظر الى تلك الشجرة المثمرة هناك.

- يجب ان تأتي لقطف ثمارها في الحريف القادم. بمجرد حلول

أول موجة صقيع.

- أي حسب ذلك كثيراً.

- ألا تعتقدن أننا نخطط لتسبيل بعيد نسبياً؟

لراجعت ثانياً الى الوراثة بدهشة، ولكنه ضحك ومضى الى

القول:

- فأت الاوان! ألزمت نفسك فعلاً بترافقي لقطف هذه الثمار.

ولن أسمع لك بالتراجع. هذا موعد بيتنا، أيتها الحبيبة الصغيرة،

ونوقع منك ان تحافظي عليه.

- انك لست متصفاً.

- انه لا تصاف بعينه.

- أمي، أمي! هل يمكنني اعطاء ذاتي ساعة الصغيرة هذه مقابل

حصولي على هاري؟ أرجوك، أرجوك!

ابتسمت ثانياً وسأته بهدوء:

- أولاً، من هو هاري؟

أجابها ذاتي قائل ان هاري هو حيوانه اللئلي. قال له جانيك

بمؤازرة:

- ولكنك بالتأكيد لا تريد التخلي عن صديقك المثلل هذا، أليس كذلك؟

- قالت لي أمي ان علي التخلص منه بطريقة او باخرى.

- هل يمكنني يا أمي، الحصول عليه مقابل ساعتني هذه؟

- لا اعرف...

- فاطلعتها جايك موجهاً سؤاله الي ذاتي.

- وما هو هاري بالضبط؟

- بالضبط؟ هاري هو صديقي... الفار الأبيض.

- صرخت تانيا بدهشة بالغة:

- فار؟

- انه لا يؤذي، يا أمي!

- رفضت الأم الطلب باصرار، فعاد الصبي يرجوها ويحاول اقناعها بأنه سيضعه خارج البيت. تدخل جايك ثانية وقال له بحزم الوالد الطاع:

- قالت لك أمك لا، يا جون، وهذا يعني لا بصورة نهائية.

- وفيما ذهب الولدان بالزجاج وغضب طاهرين، لم تحف جسم تانيا مرة اخرى وقالت انها تكاد تشعر بذلك الفار اللعين يزحف الى سريره او يقفز بين قلعهما. مازحها جايك قائلاً:

- مسكين! هل تخافين من فار صغير ضعيف؟

- لا يعني مدى صفوه او ضعفه، ولكنني لا أطيقه. انها لسخافة مني، ولكنها الحقيقة.

- يجب ان تكوني مسرورة لأن جون سألنا قبل اتمامه عملية الغلايفة. فللسنين كان سيخسر ساعتني، وفكره ايضاً.

- لي محنة لذلك.

- كان بإمكانك طبعاً تصيبي حارسك الامين ضد القثران.

- فضحكت تانيا لذي سماعها اقتراحه المرح وقالت قمارحه:

- هذا أفضل عرض قلعتني حتى الآن.

- نظر اتي جسمها الجميل بتمعن وقال:

- لو حظيت بقليل من التشجيع، لقدعت لك عروضاً اخرى.

- الفضل.

- اعتقد... اعتقد ان الوقت حان كي يأتني ذاتي الى بيته.

- انتك خبيثة في تحجب المواضيع الحساسة، أليس كذلك؟

- وعندما لم ترد على سؤاله الساخر، تنهد وقال:

- حسناً، لنذهب. على اي حال، امضينا اليوم اوقاتاً ممتعة للغاية.

- أيلت كلامه بصديق وبإخلاص، فأثله:

- كان حقاً يوماً رائعاً.

- شعرت تانيا وهي تقول جملتها هذه ان الساعات الطوال التي امضياها معا ذلك اليوم اضافت بعداً ايجابياً جديداً الى العلاقة القائمة بينهما منذ بعض الوقت. وتذكرت كيف انه أصبح في الأونة الاخيرة اكثر اهتماماً بها... بوجه اليها، تحية خاصة بها كلما عاد الى البيت، يمسك يدها بحنان كلما كانت جلسته او واقفة قربه. تذكرت الاشياء الصغيرة التي تثيرها تافهة يحد دافئها، اما نظرت الى كل منها على حدة. ولكنها كانت جميلة جداً عندما تنظر اليها ككل. وكانت تانيا تقنع بأنه يريد ان يجيها لنفسها، وليس لانها أم ابنة.

- أصبح من السهل عليها اكثر فأكثر ان تدبر له خدعها كي يطعم عليه قيلة اللحم، وتحولت هذه الممارسات ببطء الى عادة وتقليد يوميين. كان دائماً لطيفاً وحنوناً ومسيطر على مشاعره، ولم يطلبها ابداً بانكر مما كانت ترغب في منحه. الا ان رفضها له، التي على الخوف، ازداد بنسبة ماثلة لجها له. ولكن كيف يمكنها ان تطلعه على حبه له، بعد ان استطلعت بهذا السر طويلاً هذه المدة؟ لن يتهم مشاعرها واسبابها، ولن ينفّر لها...

- فتح باب الحديقة ودخلت منه شيلا راينز بمرح ظاهري.

- كيف حالك؟ هل جايك هنا؟

الشابة السمره شحتا ارتياحاً ونشيطاً. وقالت لها بمرح طاهر، وهي تلوح بيدها مودعة:
- ساقول لائقك انك تبعين اليه انتحبه والسلام.

- لا، لم يعد بعد الى البيت.
- انه لامر مؤسف حقاً. قال انه سيعدو بانكرا، وكنت آمل في مقابلته هنا. هل تعلمين ما اذا كان سيأتى؟
- لا، لا اعرف. هل تريدان انتظراه؟
- لا، يجب ان اعود سريعاً. كنت اطلع فعدا الى رؤيته بعد ظهر هذا اليوم.
- هل الامر هام؟ يمكنك ان تتركي له رسالة معي.
- حقاً طبعاً يمكنني الاتصال به هاتفياً في وقت لاحق، ولكني لا اريد ازعاجه عندما يمضي بعض الوقت مع ابنه.
وصل الغضب والاشمئزاز بتأني الى درجة الغليان والانفجار، وقالت بسخرية لاذعة:
- انك مخلصه وحنونة للغاية.
- لقد حدث سوء تفاهم بالنسبة لموعد اللقاء في النادي البلدي.
ابلقه ان الموعد هو الواحدة بعد ظهر السبت، عوضاً عن الثانية.

- حسناً، الواحدة بعد ظهر السبت.
شكرتها شيلاً بدلائل مشير للاشمئزاز وتفاخرت بالذهاب. الا انها توقفت فجأة وقالت:
- كنت أسي. شاهدت قطعة الأرض التي كان ينوي شراؤها.
اخبرته بأنها ليست جيدة، لأن الوصول اليها شبه مستحيل. سأطلعه السبت على بقية التفاصيل. ربما سنحت لنا الفرصة آنذاك لمشاهدة الأرض معاً.
شل الغضب قدراً تانياً على التكلم. لم يقل جانيك كلمة واحدة عن قطعة أرض لو اخرى. هل كان يمدعها طوال الأشهر الماضية لتهدئة اعصابها، بينما استمر في إقامة علاقة مع شيلاً؟ هذا امر محتمل جداً، وألا فلماذا هذه الزيادة للقاذرة وهذا الفجح والدلال؟
لا بد ان مشاعر الشك والغيرة ظهرت بجلاء على وجهها، لأن عيني

مستوجب في تاريخها. لما الآن فهي تعرف انها نظرات خداع وكلاب.
- عصير بارد لعروس الشمس الجميلة.

اعتزقت انسانيته الكسولة عذوبة دماغها وجعلت ثقات قلبها
تتسارع كالعلاقة. وانبت ثانيا نفسها على استسلامها الكلي لسكر
اشباعاته ومداعباته، في حين انه كان يخذلها طوال الوقت. ابسعت
رغماً عنها، وقالت:

- لم اتوقع عودتك في مثل هذا الوقت المبكر.

- توقفت امي في المكتب ظهر اليوم وتناولت الغداء مع اب.
ابلغني بانها اخذت جون بحضور حفلة ميلاد احد صديقائه. وجدت
انها فرصة مناسبة جداً كي احتل زوجتي. فأقنعت امي بشراء بعض
الحاجيات الضرورية وان تحضرني الى البيت عندما تذهب لاحتفال
جون.

ولفت ثانيا والعصب يكاد يخرجها، ولكنها حافظت على هدوئها
الصطنع وقالت له بلهجة طبيعية جداً:

- اتاني اليوم زائر.

- اوه؟ من؟

- شيلا رايتر!

لاحظت ثانيا مسحة استغراب خفيفة على وجهه، ولكنه سألها
بصورة عادية:

- ماذا كانت تريد؟

- في الحقيقة، لم تأت شيلا لتروني انا... بل جاءت لتبحث
عني.

مرت ثانيا لانه لم يحاول التظاهر بالدعشة، واحسبت بسعادة خفية
عندما شاهدت ذلك العبث الخفيف في ملامحه. سألها عن سبب
حضورها، فقالت:

- تركت لك رسالة شفوية معي. قالت لي ان اطلب منك مقابلتها
في الواحدة بدلاً من الثانية بعد ظهر السبت في النادي البلدي.

٨ - الماضي العذو

بعد ذهاب شيلا بأقل من نصف ساعة، سمعت ثانيا صوت
سيارة في المدخل المؤدي الى البيت. وما ان شيلا ابلغتها ان جايك
سيصل اليوم في وقت مبكر، فقد تأكد لها ان القادم لا بد ان يكون هو
بنفسه. احست برغبة قوية للخروج بسرعة ومواجهته بتلك
اللعنومات التي حصلت عليها حول علاقته مع شيلا. ولكنها ظلت
جالسة في الكرسي وهي تحكي الفرادة في حينها بظلالتي شمسين.
مرت لحظات عديدة قبل ان تسمع باب الحديقة الزجاجي يفتح
ويغلق. رفعت رأسها فرائت جايك يحمل زيجتين من العصير
البارد، ويتطلع الى سابقها الكشوفتين حتى حافة السروال القصير.
لوحظت تلك النظرات اللثيمة في ظروف اخرى، لاحسب بانها

وقالت أيضاً أنها شاهدت قطعة الأرض التي تنوي إتيانها، وإن تلك القطعة ليست جيدة على الإطلاق. وأضافت أن بإمكانكما بحث هذا الموضوع بالتفصيل يوم السبت.

أجابها وهو يحاول السيطرة على انفعاله وكبح جماح غضبه: - كنت أنوي إطلاعك بعد ظهر اليوم على مسألة هذه الأرض. انتهت بسرعة وقالت:

- لم تعد بحاجة لأزعاج نفسك لأنني أصبحت مطلعة على الموضوع.

- أنت لا تعرفين إلا ما قاله لك شيلا. ويبدو لك تبنيت الأفكار عاطفة من جراء ذلك.

لم تعد ثانياً قادرة على ضبط انفعالاتها، فصرخت قائلة بجدة: - أوه، جنيتي الأفضاحات والتفسيرات اللاشعورية! أما متأكدة من أنك قادر على جعل الأمور تبدو وكأنك لم تقم بأي عمل مشين. هذا صحيح. لم تقم بأي شيء مما تظنين.

- أوه، كم ظهرت مستاءة ومتأدبة ذلك اليوم الذي شاهدته في مع باتريك! قلت في آنذاك أنك لا تتحمل أبداً أن يلدحك أحداً وضحكك بمرارة ثم مضت إلى القول، قيل إن يتمكن من التعلق على كلامها:

- أبلغني باتريك في ذلك اليوم بالذات أنك لا تزال تعاقب شيلا، ولكنني رفضت أخذ كلامه على محمل الجد. قلت كلمة الشرف منك بأنك ستحاول جاداً مثل لانجواج زواجنا. كان علي أن أذكر كم هي تافهة ولا قيمة لها تعهداتك ووعودك!

قفز نحوها كنمر متوحش وقال لها بجدة بالغة، وهو يهزها بعنف: - سوف تستمرين إلى ما سأقوله لك! اتقهمين؟

كانت سريعة مثله، فحزرت نفسها من يده وصرخت به قائلة: - لا، لست مستعدة بعد الآن للاستماع إلى المزيد من أكاذيبك! - أنك تغلين معي ما فعلته أنا معك سابقاً، تسهمني وتديني قبل

أن تتسهي لي أي مجال حتى لتوضح ما جرى. من المؤكد أن لي الحق تقبيل من ثقتك! جلب الرجل المرير دموع الحزن إلى عينيه الجميلتين، وقالت بأسى:

- كم أبدو سهلة وغبية أمامك! كم من مرة صدقتك فيها! وكنت أجهلي في كل مرة أبدو أكثر خياف من السابق. تتوقع مني الآن أن أصدقك ثانية عندما تخترع قصة بريئة من نوع ما لنفي وجود علاقة حميمة مع شيلا... مع أنها هي أوضحت عكس ذلك دون حياة أو خجل.

فتح جاك لمه كي يرد عليها، ولكنها رفعت يدها لستمعه عن ذلك وأضافت:

- لا، لا نقل شيئاً. أنت لم نقل لي أبداً أنك سوف تتخلى عن شيلا. لقد نجيت في الحقيقة الأجوبة على السؤال اليتيم الذي وجهته لك بشأن هذا الموضوع. وعليه، فإن الأمر لم يكن إلا مجرد كذبة بيضاء. من المحتمل أنني خدعت نفسي. لم يعد يهم الآن، بعد أن عرفت الحقيقة.

رد عليها بصوت غاضب: - ولكنك لا تعرفين الحقيقة! لرفضين الإسماء لحقة لفرقة الحقيقة!

وإن جرس الماتلف داخل البيت، فتعبد جاك لتحمل امره. ولكنها قالت له ببرودة مؤنة:

- المخلبة لك. قالت لي شيلا أنها قد اتصلت بك في وقت لاحق. أحست ثانياً بعد ذهابه أن غضبها بدأ يخبث تدريجاً. شعرت بأنها ترفب في البكاء كي تساعدوا الدموع على التخفيف من الآلام التي تعصر لولدها. وفجأة، سمعت جاك يتنادى من الداخل: - ثانياً، تعالي إلى هنا.

لم ترد عليه ولم تعره أي اهتمام على الإطلاق، فصرخ بها:

- تعالي فوراً والا انت وجروك بقسي!

احسنت ياغي يعني ما يقول. فمشت نحوه بتمهل مريح
للاعصاب. لمسك بذراعيها بقوة وجذبها بعنف نحو الحائط الذي
كانت مساعته لا تزال مثقلة بحجره. رفع جاك الساعدة وقال:
- اي، كرر ما قلته لي قبل لحظة.

ثم وضع الساعدة بسرعة على اذن ثانيا فسمعت جاني دي يقول
باستغراب:

- اكرر ما قلته؟ كل ما قلته لك ان موعد الاجتماع المخصص
لموارد الشركة ومهندسي الشاطئ تغير من الثانية بعد ظهر السبت الى
الاولى منه. انه لقاء غير رسمي والزوجات مدعوون لحضوره، وعليه
فاني اذكرك به كيلا تنسى ابلاغ ثانيا بالامر. من المؤكد انها تريد ان تجد
شخص يبقى مع جون اثناء غيابها عن البيت. هل من الصعب
عليك تذكر هذه المعلومات القليلة العادية؟

تهذبت ثانيا بحزن عندما شعرت بمدى الخطأ القادح الذي ارتكبه
بحق جاك، واعطته الساعدة بهذوه وحياه.

- شكراً يا اي.

ولكن جاني دي عاد الى الكلام وبصوت كانت ثانيا تسمعه
بوضوح:

- انتظر لحظة... ذكرتني امك لثلاث ايام ان شيليا تركت على مكثي
لالتحذير بقطع ارض وعرا للبيع. لن احضر الى الشركة غدا، وعليه
فلا تنسى ان تأخذ هذه اللائحة من مكثري.

ثم اضاف ضاحكاً:

- لم اكن لاصدق ابداً ان يكون شيليا الحصول على رخصة قانونية
للقيام بمثل هذه العملية. ولكنني اعتقد انها ستجوز في هذا الحقل،
لأنها قوية وجميلة في وقت واحد.

احسنت ثانيا هذه المرة بالقصدية والام وهي تنظر الى وجه جاك
الحزين. كانت حينها لا تزالان تشعان ببريق غاضب ونظرات قولاذية

قاسية. كان يتحدث مع والده، ولكن فزعها منها من سماح
كلامه:

- اني أسفة يا جاك. أسفة جداً.

قالت كتمانها هذه هامة قبل ان تخشى يخوف ويهلع الى التوراء
وتركض هاربة متسعة نحو الحديقة. لم تعد قادرة على مواجهته او
النظر اليه بعد احكامها المصحفة بحله. لا يمكن لاعتذارها المرتبك
ان يعرض عن تلك الكلمات القاسية التي قالتها له، والاعترافات
الكاذبة التي وجهتها اليه. خرجت نحو البحيرة وهي تقول لنفسها انه
كان عليها الاستماع لايضااحات جاك قبل اصدار احكامها الخيرية.
انهمرت الدموع غزيرة من عينيها، فلم تعد قادرة على رؤية الاشياء
بوضوح. تعثرت ووقعت، وراحت تبكي بحزن ومرارة حتى جلت
الدموع من عينيها. شعرت بانها طفلة ضائعة هربت من البيت ولم
تعد تريد سوى معرفة طريق العودة اليه.

حطت ذهاباً على ذراعيها ثم ذهبت. ولكنها عادت ثانية،
فتمحرت لايعلمها عنها. احسنت بشيء يلامس ساقيها. نظرت
بسرعة فشاهدت عترياً كبيراً يزحف متحاذياً على رجليها. تسمرت في
مكانها هلعاً وراحت تصرخ بصوت عال. لم تلاحظ انها تردد اسم
جاك. ولم تسمع وقع قدميه وهو يركض نحوها. ابعد الحنرب عن
ساقها بسرعة وداسه بقدمه، ثم حملها بين ذراعيه وشدها الى صدره
وهو يقول:

- لا تخافي. كل شيء على ما يرام.

- جاك، جاك.

- انا هنا. اعددي الآن، لن يتحدث لك شيء. قتلت الحنرب. لا
تخافي.

طوتت خصمه بقوة، لئلا كان يرت على كتفها بتحان بالغ
ويسألها:

- هل انت بخير الآن؟

هزت رأسها للتصقير بصدوره مطمئناً مرتاحاً، وقالت:

- احرف ان من السخافة بكان ان احاف الى هذه الدرجة، ولكني لا استطيع التحكم باعضائي، فضعني اليك لفترة اطول يا جايك، لرجوك.

- الى الابد، اذا كنت تريدان ذلك.

مرت دقائق عديدة قبل ان تسحب ثيابها بتدريج من حول خصره. كانت تشعر بان رجليها لا تزالان ضعيفتين وغير ثابتتين، ولكن قسماً من صدمتها زال تدريجاً، فشعرت بالكيفية التي كانت تطوقه فيها. تجمعت بصوت خافت:

- اظن انني اصبحت الآن على ما يرام.

لوقتها على قدميها بهدوء وحسن ثم داعب وجنتيها برقة وهو يسألها:

- هل خفرت في؟

- ماذا... ماذا؟

- اني اعلم انك لم تفرح بك هذا القدر ان البيض يقطر، وشيئاً

او اشبه الحشرات المزنية

تسبحك بهجلاً وقالت:

- طبعاً، ولكني اعتقدت انك تتحدث عن شيلاً.

وضع اصبعه على شفتيها السفلى مداعباً وقال:

- لن نتحدث عنها الآن.. انت لست في وضع يسمح لها بالدخول

في المناقشة التي اريد بحثها معك.

- اريدك ان تعلم الآن اني ادرك تماماً مدى الخطأ القادح الذي

ارتكبته عندما لم اسمع لك بتوضيح موقفك.

- قلت اننا سنبعث هذا الموضوع لاحقاً.

كانت كمنظلة تريد التأكيد من انه سابعها على غلطتها، فقالت:

- اعرف. ولكني اردت ان اقول لك انني متضايقه جداً من تصرفي معك.

ابتسم وضمها الى صدره بحثان متمتاً:

- انت عنيدة جداً.

ضمها اليه بلطف ورقة. ولكنها عندما طوقت عنقه اوقفت

ذراعيها بيديه ورفع رأسه عنها بهدوء قائلاً:

- اني اقبل اعتذارك. والآن... هل تريدان السير الى البيت او

ان احملك اليه؟

اجابته بانفاس منقطعة، وهي تشعر بانها لو قبلت ان يحملها

فلسوف تغارله دولما حياه او خيول:

- لا، افضلي ان اتعب سيراً.

سألتها محارحاً:

- هل اصبحت تشعرين بخطر عندما احملك بين ذراعي؟

ضحكت عندما لم تجب، وسأرتا الى البيت بهدوء فيها كان يسك

بأن احبها وراه ظهره ويطلق كنفها بلذاه. ولما اوصلها الى غرفتها،

قال لها:

- قلمي الآن وانعكسي نفسك بنجم بارداً سوف تتجسدت في

الوضع بعد خروجك.

في موضوعين:

لم يصحها بل دفعها الى الداخل بحثان واخلاق اليب زواها. هل

سبحتها عن شيلاً؟ كانت متعبة جداً بحيث انها لم تكن قادرة على

التفكير بشكل صحيح. اخلفت ثيابها ودخلت الحمام. وما ان

خرجت وجفت نفسها، حتى سمعت طرقه غليظة على الباب.

ادخلت جسمها في رداء عاجي جميل، وقالت:

- ادخل.

تأملتها جايك بدقة قبل ان يدخل ويعطيتها فنجاناً من القهوة،

قائلاً:

- تبدين الآن احسن بكثير. لم تعد في عينك اي اثر للخوف او

القلق.

لم تتمكن تانيا من إخفاء ذلك البريق الساطع الذي غمر عينيها وهي تنظر إلى وجهه الجميل الجذاب، فأدبرت وجهها عنه وقالت:
- من المؤكد أنني تصرفت ككائنات غبية جداً، ولكن خوفي من العقارب لا يبرأ.

سمعت خفيف أوراق قرب سريرها، فأدبرت وجهها ثانية نحوه وشاهدت لفة من الورق الأزرق يجعلها تحت إبطه. وسأله بفضول عن هذه الأوراق التي كان يفتحها أمامها على السرير.
- تعالي وانظري.

وقف يدهو قربها عندما كانت تحقق بمحتويات تلك الورقة. ثم قالت:

- أنها خطوط عرضية لمزلق جلي.

- لا ليس لمزلق. أنها لبتنا، يا عزيزي. وبما أن شيليا أصرت على إطلائك بأنني راغب في شراء بعض الأراضي، فقد قررت إطلائك على بقية التفاصيل.

تهبت تانيا بقوة وسأته:

- ماذا تعني... بيت؟

- أتمتعني بعد من السكن مع أمي وأبي؟ هذا لا يعني أنني لا أحبها كثيراً ولكن، ألا تخمين أن يكون لك بيت خاص بك؟ شعرت بما توحى كلماته، فقالت له مترددة:

- طبعاً، ولكن...

- إذن، أعطيني رأيك بهذا المخطط الأولي. ربما كانت هناك أشياء تريد تغييرها.

لم يترك لها جايك مجالاً للتعليق الفوري، لأنه بدأ يشير بإصبعه إلى موقع غرفة النوم وقاعة الجلوس والمطبخ و...

- هل يعجبك؟

- إنه جميل جداً، ولكن...

توقفت عن إتمام جملتها وهزت رأسها لتسئله من الانحناء تحت

وهذه السعادة الفاتكة لحصولها على بيت أحلامها. رفع رأسها نحوه ليتمكن من النظر إلى ملائح التلألؤ في عينيها، وسأله بحنان ظاهر:
- ما بك يا حبيبتي؟ ألا تعتقدين أنه حان لنا التمتع ببعض الحرية في حياتنا الزوجية؟

توترت أعضائها فجأة وعاشت من الكلام ينذر ما خافت من الصمت. حدثت بملاحظه الجميلة وهي تعلم علم اليقين مقدار حبها له. وتحدثت عاجزة:

- أوه، جايك، جايك!

ضمها إلى صدره وفي عينيها نظرات مشتتة، شعرت في أذنها نغمة وغراء، ثم اشتعل تأراً في روحها لتحدث بسرعة إلى لرجاء كيانها. ثم قال لها بصوت خافت:

- أوه، كم تمتيت القيام بذلك منذ زمن طويل!

عصفت بها المشاعر المتلاحقة فاضطربت صرخة مقلبة واعتدت تبادل الغزل وتودد اسمه بيهام. ألا أن تلك السعادة الفاتكة لمخلط للمشاعر العادية لتتجمع بين روحها ومزاجها، وتجعل منها انساناً واحداً. ابتعد جايك بتردد وهذاب وقال:

- لا يمكنك أن تعرفي مدى السيطرة المؤثرة التي مارستها على نفسي لفترة طويلة، كيلا أفعل ما فعلت الآن.

حول جايك نظره عنها ثم أخذ يتأمل عينيها بحثاً عن جواب لسؤال لم يوجهه. كان في وضع يمكنه من امتلاكها دون مقاومة أو احتجاج أو معارضة. ولكنه ما أن منحها فرصة الاختيار، حتى دب الخوف والمطع في قلبها. تلت وحرقته الدعوى المرة عينيها. كانت تشعر بذراعيه القويتين تطوقان خصرها. وسرها أن يكون ظهرها إليه حتى لا يرى الأسى والحزن والألم في عينيها. هس في أذنها بصوت خفيل ناعم:

- لا تخافي، يا حبيبتي. أنا لا أشعر بحزنك برغبة فقط... مع أنني أريد ذلك من صميم قلبي.

- اوه، جايك!

قالت اسمه بصوت انه بصراحة متشددة تطلق بأن من قلبها. انها لا تحالف الحب، ولكنها تحلف غضبه. تعلمت قليلاً بين ذراعيه فتدعها قليلاً وقتها قاتلاً:

- هذا يكفي، ابنتا الحبيبة الغالية. نحن بحاجة للكلام لحرمانا تيلي من مرارة بيتنا.

- جايك، آنا...

- لا تتكلمي، بل اسمعي. اننا احبك. ربما كنت احبك دائماً، لا اعلم. كل ما اعرفه اني الآن احبك، وبكثير بكثير مما كنت تصور ان بإمكان الانسان التوصل اليه.

تهدت بطريقة كشفت مدى هيامها به. كانت تعرف انها غيرة بقدر ما هو هيامها. تمت وهي تستند اليه بوهن ان تظل بين ذراعيه الى الأبد، ولكنها توسلت اليه قائلة:

- لا تفل اي شيء آخر، يا جايك. ارجوك.

مرت عليها لحظة تودد ثقيلة شعرت ثانياً خلالها بان جايك يريد تحويل الأقوال الى أفعال. ثم سمعته يقول بصوت احسن:

- دعيني انهي كلامي يا حبيبتي، لأنني لن احدث عن الماضي مرة اخرى بعد هذه اللحظة. آنا لم اعد الى البيت بسبب رسالتك لفظ.

استعملتها كمداد او مبرور. كان جون عادلاً دائماً في التقاضي قرار العودة، لأنني اردت مشاهدته. ولكن رغبتني في رؤية زوجتي كانت اقوى واشد.

اردت مشاهدة تلك المرأة الجميلة التي كانت تلف قرب الصبي. اردت رؤيتك انت يا تانيا، لأن صورتك ظلت تلاحقني سبع سنوات بكاملها وفي شعرها وعينها اشعة الشمس الذهبية.

كان قلبها يلقي بسماعة واثم. ليس من الممكن ان حبيها قوي بما فيه الكفاية لتجاوز عداوة لثانسي واحفاده، ولتتمكن من تفهم اسباب خداعها له طوال هذه السنوات؟ سمعته يتابع كلامه بلهجة حزينة

لنعت قلبها:

- يجب عليك أولاً ان تفهمي اني وشقيقتي كنا عتقارين جداً. كنا اكثر من مجرد شقيقتين. لا اذكر اني وعدتك بالعودة بعد تلك الليلة، ولكنك كنت انوي ذلك... حق، قتل جايكي. كان لا يزال شيئاً صغيراً، يا تانيا، يضح حيلة وشباباً. اصبحت انساناً قاسياً لا يشعر الا بالمفقد والمرارة. خففت تلك المشاعر السوداء ذكرى اني الحلوة عن تلك الفتاة المحبولة الرائعة التي التقيتها. وعندما شاهدتك لأول مرة بعد تلك الليلة اليتيمة، وكنت اعمل من السابق، لنعت نفسي لأنني لم احاول البحث عنك... وبخاصة عندما رأيتك وانت تحملين الطفل على ذراعيك. لم تؤثر في نظرات الاحترار الباردة التي رأيتها في عينيك. عرفت انك تريدني ان اذهب واتركك لوحداً، ولكنني لم افكر من ذلك. ولهذا، تظاهرت امامك بانني مهتم بالطفل لتلك الدرجة.

هزها برقة بين يديه وكأنه يحاول تخفيف الآلام التي تعصر قلبها، ثم اضاف قائلاً:

- لن انسى ابداً تلك الصدمة العنيفة الأولى التي عصفت بي عندما سألتني ان كنت اعرف من تحملين انا قلت له انه ابني! قتلت في البداية انك تكذبين... انك اكتشفت وجود ثروة لا بأس بها لدى عائلة

لاستير، وارادت تلك الثروة لابنك غير الشرعي! لم اقطع حتى عندما شاهدت اصبغه الصغير اللثوي... العلاقة الممزقة لأفراد عائلة

لاستير. لم اؤكد من انه ابني حقاً الا بعد ان ذهبت اني تلك الشقة الشواضعة التي كنت تسكنين فيها. حبيبتي حبيبتي! هل يمكنك ان

تغفري لي ذلك؟

حاولت ان انظر اليه ولكن ذراعيه ابقتهما حيث هي، فقالت:

- لا شيء يتطلب المتفرقة يا جايك.

- الأمر الوحيد الذي ظل مهمناً في زواجنا هو صدقك وامانتك. وكان صدقت احد اول الاشياء التي احببتها فيك، واصبح الأساس القوي لحبي لك.

- اوه، لا، يا جايك، لا، ارجوك.

- لا، لولمك لانك كرهتي في البداية. انا ارجعك على الزواج
مني. لم اعد متأكد الآن من اني فعلت ذلك للحصول على اشي ام
للحصول عليك كزوجة في كل ما اعره اني احترت نفسي كثيراً
نتيجة الاذلال الذي لحق بك وعانيت منه بسببي. كنت لطيفة اني،
كنت اذكر مدى احتقارك في واستعزازك مني. انت لم تكوني السبب
في رحلي... خجل من نفسي كان السبب. انت لم ترتكبي معي
اي خطأ. انا الذي يجب ان يتحمل اللوم كله. هلا تلاحظين الآن
لماذا كنت مضطراً للكشف عن مشاعري البديهة؟ كنت دوماً صادقاً
جداً معي، فاضطرت لأن اكون صادقاً مثلك.

صادقة! صادقاً! لم يعد امامها عمل بعد الآن كي تظنعه على
الحقيقة. صدقها المزعوم هو الشيء الوحيد الذي اثار اعجابي.
فكيف استطاعه على سره دون ان ينهار هذا الصديق اهنس...
ويتبرأ منه حبه لها؟ بكت وسأله بحدّة:

- لماذا؟ لماذا تطلعي على جميع هذه الأمور الآن؟ الا تعرف ان ذلك
لم يعد يهم؟

- ما بك يا حبيبي؟
زاد الاهتمام الصادق اخبرني في صوته من الألم الذي يعصر
قلبيها.

- اوه، جايك، جايك!

اخلفت بوز رأسها بحزن. لم يكن امامها سوى سبيل واحد
للهرب. سوف يكرهها بسبب الخطة التي تنوي القيام بها، ولكنه
سيكرهها لضعف ذلك اذا اكتشف الحقيقة. قالت له ببرودة
مصطنعة:

- ارجوك، اريد الطلاق.

- الطلاق؟ ماذا تقولين؟ هل هذه نكتة؟

- لا يا جايك، انها ليست نكتة. اريد الطلاق.

امسك بكتفها وادار وجهها نحوه بقوة، ثم صرخ بها غاضباً:
- قلت لك لنوي اني احبك! هل تحاولين ان تقولني انك لا
تباينيني الحب؟ هل هذا ما تحاولين قوله؟

تفادت نظراته الحادة واجابته بلهجة حازمة وانكر اصراراً:
- قلت لك اني اريد الطلاق. ليس هذا الكلام جواباً كافياً؟
- لا ليس جواباً كافياً على الاطلاق!

ثم غرز اصبع يده في اذن ذراعها وقال لها بعصبية بالغة:
- انا لست جاهلاً الى درجة لا اعرف معها ان هذه المرة تريدني ام
لا، واعرف انك منذ لحظات معدودة كنت ترغفين في الحصول على
بقدر ما كنت انا اؤغب في الحصول عليك. انا اعلم انك تحبيني.
اعترفي بذلك!

وضعت يدها على صدره في محاولة لاجعاده عنها، وصرخت به:
- توقف، يا جايك، توقف!
وضع يداً على ظهرها وشدها نحوه، ثم امسك يده الاخرى
شعرها ورفع رأسها نحوه قائلاً:
- اريد توضيحاً فوراً.

اخافتها نظراته القاسية ووجهه الغاضب، تيمست قائلة:
- انك تؤلمني.

رد عليها بصوت قوي ونظرات تشع بالهيب الغضب الساطع:
- انا احبك، وسأجعلك تحبيني!

رفعها بين ذراعيه بقوة رغم محاولاتها اليائسة للتخلص منه،
فلمحت يدها يخوف وعلق لتحس نفسها. حلق بها بعينين قاسيتين
غريبتين، لم يصدر عنها يرن الاغراء الذي كانت تنوب تحت
وطأته. وضع ذراعيها وراء رأسها بحيث تمكن من امسك معصميهما
بيد واحدة، فيها امسكت الاخرى بوجهها وسمرته امام نظراته
المنهية. وقال:

- كنت تتحرقين قبل لحظات. فما بك الآن، ابتها اللطة الشرسة؟

- أرجوك، يا جايك. لا تفعل ذلك.
 كان صوتها يرتجف كورقة في مهب الريح، وجسمها يتلصص كمن
 لدغته حية سامة. وعادت تكرر له الرجاء:
 - لن يغير ذلك شيء. سوف أصر على طلب الطلاق. أرجوك، يا
 جايك، أرجوك!
 أحياها بيرونة حقلية:
 - أنا لا أصدقك، يا نانيا.
 تجمعت الدموع في عينيها وقالت له بصوت ضعيف:
 - لست قوية بما فيه الكفاية، يا جايك، كي أتمكن من مقولمك
 وصدك.
 حلق بها طويلاً قبل أن يتمتم بقسوة بالغة:
 - اللعة عليك!
 ابتعد وجهه عن نظراتها المتوسلة وهو يهيب واقفاً بحدة وعصبية.
 بكت بحزن وتعاية وهي تسمع صوت خطاه تبتعد عن سريرها. ثم
 سمعت باب غرفتها يفتح ويغلق بقوة، فأكد لها أنه تركها وذهب.
 دفقت رأسها في وسادتها وأخذت تضرب السرير بيديها متتحة:
 - لود، جايك، جايك. ألي أحيك أحيك وأريلك من صميم
 قلبي.

٩ - المفاجأة الأخرى

كانت الأبواب تفتح وتغلق بعنف في الأيام التالية، لأن جايك
 كان يرفض البقاء في غرفة واحدة مع نانيا. كان الغضب كطيمة
 سوداء تلاحقه طوال الوقت، حتى أن جون أصبح يخشى مكانه
 خوفاً من التعرض لملاحظات قاسية وحادة. كانت نانيا تسمع صوت
 عطلاته ليلاً وهو يتطلع أرض غرفته ذهاباً وإياباً.
 لم تنم هي أيضاً براحة وهناء. ظهر التعب والارهاق على عينيها
 نتيجة السهر والقلق. كانت تنمى لو أن يستطيعها المنعاب إليه
 والاعتراف له بحبها. ولكنه لن يفهمها أبداً. عانت كثيراً من تلك
 الليالي الطويلة التي أمضتها ساعرة، تحلق بسقف غرفتها حزينة
 ومذعولة.

وثلثت من نظرات جوليا التي كانت تحصلها مسؤولية جايك قبل تناول فطوره، وعودته بعد انتهاء العائلة من تناول طعام العشاء. كان جاي ذي الشخص الوحيد الذي ينظر اليها بشيء يشبه التعاطف. ومع ذلك، كان يبدو مستاء ومهتأ.

وكان جون المسكين الشخص الذي يتأثر أكثر من الآخرين. فهو لم يعتبر مثل هذا الجو العذائي من قبل. دعاء داني جيلبرت تشبیه ليلة معه، فوافقت ثانيا بعد تردد. اعترفت لنفسها بأن سبب تردها يعود الى أنانيتها. انها تريد العشي معها طوال الوقت كي يحول انتباهها قدر المستطاع عن جايك.

توجهت الى غرفة جون للتأكد من ان لديه كافة الاشياء التي يحتاجها في ضيافته صديقه. وصلت امام غرفة جايك، فخطعت الى الداخل. تعثرت خطاها وتوقفت. كان جايك يقف امام المرأة ويعقد بتأن رقيقة عنق فضية وزرقاء تناسب تماما مظهره الصيفي الرمادي. لم تعرف ثانيا انه جنى الى البيت، وبدا لها انه على وشك مغادرته. اضطرت لأن تقول له شيئا لأنه شاهد انعكاسها في المرآة. سكت بجلوه:

- هل مستهزأ خارج البيت؟

- نعم.

- طلب داني جيلبرت من جون ان يمضي الليلة معه.

- لأن؟

- تصورت أنك ربما أحيت ان توصله بنفسك.

لم تكن ثانيا تعرف حقاً لماذا تقول له ذلك، باستثناء إيجاد اعداد لا طائلة الحديث معه. سألتها بيروعة:

- الا يمكن لأحد آخر ان يأخذه؟

- اوه، نعم، طبعاً. ولكن جون مفرح كثيراً لو أخذه أنت. انه لا يفهم لماذا لا تبقى في البيت هذه الايام الا نادراً، ولماذا...

عندما تكون هنا. لا تذهب الا تفرطك؟

استدار نحوها بعصبية وقال لها:

- ربما كان عليك ان تعلميه حل الاسباب الحقيقية لذلك.

تجنبت ثانيا نظرات الاستمزاز في عينيه، وقامت بصوت خافت:

- ماذا تريدون؟ ماذا تتوقعون مني؟ هل يفترض بي ان اقول لك اني

أسف جداً يا صغيري لأن الأمور لم تسر على ما يرام، واذبح سعيداً

مرحاً في ميبي؟ لا يملك الرجل سوى شيئين يمكنه منحهما

للمرأة... حبه واسمه. وانت، يا ثانيا، ترفضينها معاً! كما انه لا

توجد لديك حتى اللياقة الكافية لتوضح هذا الرفض!

ضجعت في رأسها وفككها آلاف الكلمات، الا ان ايا منها لم

تخرج الى شفتيها. وكان ذهنها يرتجف عندما تلمت قائلة بصوت

ضعيف منخفض:

- آسفة. انا آسفة، يا جايك.

توجهت الى غرفتها في آخر الممر حزينه باثثة وسمعت بعد

لحظات باب غرفة يفتح، فعلمت انه يذخر البيت. جففت صوعها

التي اتمرت بسبب كلمته القاسية، واستجمعت قواها الشبابة

بحيث تمكنت من أخذ جون الى منزل داني. ولدى عودتها، تجنب

دخول البيت من الباب الرئيسي واعتزلت الذهاب الى الخديفة من

الدخل الخلفي. لم يمض ما اذا كانت جوليا بحاجة لمساعدتها في

اعداد العشاء. كانت تريد الانفراد بنفسها.

توجهت نحو البحيرة واعتذرت تأمل بضياخ سطح الماء وانعكاس

الاشجار فيه. شعرت بأسي عميق من جراء الورطة التي لوقعت

نفسها بها، وترقرقت في عينيها دموع الشفقة على الذات. وفجأة

سمعت صوت جاي ذي وزامها يأتي يهذوه وتومعه:

- لم اعرف أنك هنا.

استدارت نحوه بدهشة فقال لها بلهجة صطوقة:

- انت تبكين، يا صغيري.

مسحت وجهها بسرعة ثم حزت كتبها وقالت:

- لا شيء، لا شيء.

قدم لها فنجان القهوة الذي يملكه وقال:

- حيا، الشربي، فأنت بحاجة الى القهوة اكثر مما احتاج اليها انا.

انها سائحة جدا، ولكنها منعشك ولو مؤقتا.

شربت جرعة وهمت بإعادة الفنجان اليه شاكرة، فقال:

- لا، فأنت بحاجة الى المزيد. نشاجرنا ثانية، أليس كذلك؟

نظرت اليه بسرعة ولكنها رفضت تأكيد ذلك او نفيه. لم تتمكن

من الاجابة. كانت تعلم ان جاي دي لن يقبل كتبها بانها لا تحب

جايك. وكانت تخشى ان يصل جزء من الحقيقة الى جايك فيها او

اجليت والده انها حقاً تحبه. ابتسم جاي دي وقال:

- اعتقد أنك تفضلين عدم الاجابة. ولكنك تعرفين بالتأكيد انه

يجبك؟

- نعم.

اعبىه اعتراضها فنظر اليها وسألها بلهجة حذرة صادقة:

- هل متعبريني والد زوج متفطلا لو سألتك عن اسباب

الخلاف؟

- طلبت من جايك ان يظلمني.

نظر اليها باستغراب شديد وسألها ثانية:

- لماذا؟

- لأسباب خاصة.

- هل تسمحين لي بتوجيه سؤال خاص ثان؟

- وما هو؟

- هل يعلم جايك انك لست أم جون؟

وقع الفنجان وصحنته من يدها وتحطمت، فيها تسمرت في مكانها

خوفا وعلما. وسمعت جاي دي يقول:

- من الواضح انه لا يعلم.

- كيف... كيف... عرفت انت... ذلك؟

- لنقل لي لم اكن مستعدا مثل ابني للتصديق بان تلك الفتاة

الغريبة التي لم تراها او نسمع عنها من قبل هي من تدعي انها هي.

وكان هي الاكبر ان اعرف ما إذا كان الطفل حقا حفيدي لم لا.

كنت انصوّر انك تحاولين الصاق التهمة بجايك لحمله على تبني

الطفل. رفض جايك بحث الموضوع معي، واكتفى بالقول ان

الطفل ولد قبل زواجكما. وعليه، قمت ببعض التحريات الخاصة

دون معرفته.

ونظر اليها بحنان ثم سألها:

- لماذا لم يطلب منك جايك ابدا الاطلاع على وثيقة ولادة جون؟

تهللت تانيا بضميمة وهي لا تصدق ما يحدث معها، وقالت:

- طلبها مني مرة، ولكنني رفضت ان اراها.

- لا يمكنك تصور مدى صدمتي وفضي عندما شاهدت تلك

الوثيقة واكتشفت ان شقيقك هي والده جون.

- لماذا لم تواجهيها منا بهذا الاكتشاف الشر؟

- كتبنا متزوجين بطريقة شرعية. لمحت بضع مرات في رسائل

اليه انه ربما كان هناك أمر لا يعرفه. ولكنه كان يصبر على القول ان

جون ابنه. تخيل لي من ذلك الاصرار في أجوبته انه يعرف الحقيقة.

ثم بدأت اشعر كم تحبين العصي، وكأنه فعلاً ابنك.

- ومعني اكتشفت ان جايك لا يعرف ذلك؟

- عندما أقعته بالعودة الى البيت. سألته في إحدى الامسيات عن

احتك فقال انه لم يلتق بها ابدا.

حل الحزن على المرأة في قلبها، وقالت:

- انه لا يتذكر شيئا عن تلك الليلة سوى وجودنا معا.

- لماذا لم تخبريه الحقيقة آنذاك، يا تانيا؟

- لأنه قال انه يريد ابنه. كنت اعلم ان لا أمل لي في الاحتفاظ

بالعصي ما لم تظهر بانني لاه. أحببت جون منذ البداية. لم تتمكن

شقيقتي ديانا من حلة مرة واحدة بين يديها. أصيبت بنزلة صدوية وهي في المستشفى، وتوفيت. أنا التي اعتنيت بجون ورويته. كان أبنا لي، وكان جانيك سيأخذه مني!

انهمرت الدموع من عينيها ووجدت نفسها بين ذراعي والده زوجها، برمت على كتفها وبحاول التخليق من حديثها والأمها. أعطاهما منديل وقال لها:

- أتي تفهم وضعك، يا صغيرتي. وسبب خلاصك الحالي مع جانيك نابع من حاجة اطلاعه على ما حدث.

- نعم، لأنه سوف يكرهني بسبب ذلك. قال أنني آساة صداقة وأقول الحقيقة دائماً. فكيف يمكنني إبلاغه الآن بأنني أكلب عليه منذ سبع سنوات؟

- اعتقد أنك مضطرة لذلك.

- لا أقدر، لا أقدر!

رفع رأسها نحوه بحنان واضح وقال:

- اسمعي، يا أخت زوجة ابن في العالم. لا يمكن لجانيك أن يتأذى أو بغضب أكثر مما هو الآن لأنك رفضته. هل تعتقدين حقاً أنه سيكرهك أكثر لاطلاعه على الحقيقة؟

- لا أتصور ذلك ولكني لا أعلم إذا كان بإمكانني مواجهته، أو حتى إذا كان سيقبل التحدث معي!

- سأطلب منه الحضور إلى غرفة المكتب في الساعة من مساء غد، وسأصرف معكيا كتحكم مبراة خلال الدقائق القليلة الأولى.

- ربما... ربما كان من الأفضل ألا نقول له أنني سأقابلته هناك. قد لا يأتي أبداً إذا علم بأنني سألاقيه.

ابتسم جاني دي بحنان وقال:

- ربما أنت على حق، لأن بإمكانه أن يكون أعمد من أحد بغال ميسوري. والأنا، هل تعلمين بأنك ستطيرينه الحقيقة؟

تهللت نانبا وودت عليه ابتهاجا، وهي خالفة من مضاعفات الظلام

المرتقب أكثر مما ترغب في الاعتراف به لنفسها.

كانت تلك الليلة ونهار اليوم التالي أطول أربع وعشرين ساعة عاشتها في حياتها. قاربت الساعة السادسة والنصف مساء ولم يكن جانيك عاد بعد إلى البيت. كانت تأمل في ألا يعود تلك الأمسية، مع أنها كانت تعلم أن من شأن تلك الطاعة أمد تعاستها وعذابها.

سيعرف جانيك الحقيقة عاجلاً أو آجلاً، لأن والده يعرفها. ولنت لو أنها طليت من جاني دي اطلاعه على هذا الأمر، لو لم يكن في ذلك جبن ولخاف من جانيها. استبدلت ثيابها ثلاث مرات متتالية. لم تكن تعرف ماذا سترتدي. نظرت إلى المرآة في المرة الثانية، فانطلقت من قمها ضحكة عالية. كانت ترتدي ثوبا أسود وتعتقد شعرها فوق رأسها، وكأنها ذلعة إلى جنازة... إلى جنازتها هي.

خرجت من غرفتها في الساعة الأ عشر دقائق وسارت في الممر بصعوبة بالغة. كانت رجلها ترنجان، وصدرها يعطو ويهبط تبعاً لتنفسها البطيء المتقطع. كان جاني دي يجلس وراء طاولة ويغلق في سقف الغرفة. قالت له بهدوء:

- إنه لم يعد بعد إلى البيت.

نهض الرجل وقال:

- صحيح. على أي حال، اجلسي. يمكننا انتظاره معاً.

كانت الساعة تجاوزت الساعة والنصف بدقيقتين عندما سمعا صوت سيارة تتوقف أمام الدخول. غرزت نانبا أصابعها في اللعقد الوثير ونظرت جلع نحو جاني دي. ابتسم والد زوجها بهدوء وقال:

- سيتهي الأمر عما قريب.

- نعم، سيتهي عما قريب.

أحسب بأن يعصر معدتها وخافت من أنها قد تنفجر. أُنصت لتسمع وقع قدميه تقترين من الممر المؤدي إلى تلك الغرفة، ولكنها لم تسمع سوى دقات ساعة الحائط. مرت عشر دقائق تقريباً، فبدأ جاني دي يهرق بقلبه على الطاولة وهو يتململ بشدة صبر مزعج في

كرمية . ثورت اعصاب نانيا للدرجة الانفجار . ولهجة ، لغزت من مكانها عندما سمعت طرقة خفيفة على الباب . اشار اليها جاي دي كي تجلس ثانية ، وقال :

- ادخل .

دخل جايك وكان يبدو أطول قامته وأشد جاذبية . أحست بأن نبضات قلبها توقفت عن الخفقان وإن عينيها تسمرتا على وجهه للظفرس الوميم .

- أسف لاني تأخرت يا أبي .

ثم شاهد نانيا ، فظهر ثانية نحو والده وقال له قبل ان يعم بالخروج :

- كنت أطول وحذك . اعذري .

صرخ به جاي دي قتلاً :

- عد الى هنا يا جايك .

- سأعود عندما تكون وحذك .

صرخ به جاي دي ثانية ، وبشيرة ترفض اي اعتراض لو احتجج :

- لا تغادر الغرفة ! ونانيا ايضاً لن تغادرها .

نألم قلبها كثيراً عندما شاهدت ملاصق الغضب والانفعال تضطفي وجهه . انه يرفض ان يكون معها في غرفة واحدة . وسمعت يقول لوالده دون ان ينظر اليه :

- لا اريد ان أقتل من احترامي لك ، يا أبي ، ولكن هذا الموضوع ليس من شأنك اطلاقاً .

- اني اختلفت معك في هذا الرأي ، يا بني . فجون سفيدي الوحيد ، ومعني مستقبك الى أبعد حد .

- اذا كنت تحاول القيام بدور المستشار العائلي ، فاني اقترح عليك ان تبدأ أولاً مع نانيا .

- لم انتظر نصيحتك كي أفعل ذلك ، وهذا طلبت منك الخضوع هذا المساء . اقبل الباب وعد الى هنا ، واجلس .

كانت نانيا تعلم ان بإمكان والده وحده توجيه الأوامر له على هذا النحو . ما من شخص اخر يجوز على مخاطبته بذلك اللهجة . اخلق الباب بعنف وجلس في مقعد قريب منها . كان يبدو مرثعاً بشكلي بثير الدهشة ، ولكنها كانت تعرف انه يجلس هكذا متعظراً كنهدي شرس . . . نظر الى ساعته الذهبية ، وقال :

- لنته الأمر بسرعة ، فإلني موعد عشاء هذه الليلة .

- مع شيليا ؟

لم تنتبه نانيا الى انها وجهت سؤالاً بصوت مسموع . الا عندما نظر اليها بعينين قاسيتين وسألها بانزعاج واضح :

- وهل يملك ذلك ؟

اسكته والده مؤبداً :

- كفى يا جايك . لم نأت الى هنا لتبادل الاتهامات والاعتذات . أحست نانيا رأسها هزياً من نظرات التأنيب والاحتذار التي وجهها جايك الى عينيها وقلبيها . وسمعت يسل والده بشيء من العصبية :

- ما هو التحديد سبب وجودي هنا ؟ هل من المفترض ان نبحت نقفات الطلاق ، أم ماذا ؟

ثم وجه كلامه اليها قائلاً :

- ان كان الأمر كذلك ، فأكدي يلني لن اعطيك اي نفقة على الإطلاق . وسوف أحاربك بكل قواي للاحتفاظ بأبني .

هبت نانيا واقفة لأنها لم تتحمل لمجة الانتقام المرير في صوته . انه يحظرها فكيف ستخبره الحليقة ؟ ناداها جاي دي بصوت دافئ مطمئن ، ولهجة تعدها بدعم كامل من جانيه . نظرت اليه والدموع الحارة في عينيها ، وقالت هاسمة :

- لن أتمكن ، يا جاي دي ، لن أتمكن .

شاهد جايك دموعها فقال ساعراً :

- يا هذه الدموع انما مؤثرة جداً

نظر جاي دي الى ابنة يسوءه ، وقال لشلييا .

- طبعاً يمكنك ذلك، يا تانيا. هذا إذا أبقى أبي المتعظم من قه
مقلاً فترة كافية للاستماع والاصغاء.
قال له جليك بلهجة خاصة:
- لماذا تصر على العودة الى هذا الموضوع؟ انك لا تعرف ماذا
يجري.

رد عليه والده بغضب عاتق:
- انا اعرف اكثر مما تعرفه انت! وإذا خست بعض الوقت،
فلربما تمكنت انت ايضا من معرفة بعض الامور!
لم تتحمل تانيا قول أبي خلاف بين الابن وابيه فصرخت بحزن
بالغ:
- كفى! توقف عن المزح بعضكم! لن أقبل بأن تصرخا بوجه
بعضكم بسببي!

- انت سبب توتر علاقتي مع عائلتي منذ اليوم الأول لزواجنا.
فلماذا تتبدل الأمور الآن على هذا النحو المفاجيء؟
نزلت عليها كلماته الساخرة واللاذعة كوقوع السياط، ولكنه لم
ينتظر جوابها بل مضى الى القول:
- يمكنك الآن ان تخبره اي قصة تريد، فقد مشيت من هذا
الترقب اللئيم الأجوف.

نظرت تانيا الى الرجل الجالس وراء طاووته وهي تأمل في ان
تتكلم نيابة عنها. ولكنه هز برأسه مشيراً اليها كي تتكلم. قالت له
بصوت مملب:
- لا اعرف كيف ابدأ.

صرخ جليك بعصية غائقة:
- يحق السيدات قول ما تريدن قوله حتى التكن من مغائرة هذا
الذكر!

- انت لا تسهل عني الأمور يا جليك.
- ومنى كنت تسهلين أمور ومجربات جوتي، أيتها العزيزة؟

خيم الصمت بضع لحظات خط خلافاً غضبها الانشغالي بسبب
تذكيره القاسي بمعاملتها السابقة له. تهدأت ومسمحت فموعها، ثم
بدأت تتحدث بهدوء:

- عندما كنا نتحدث ذلك اليوم، قلت لي انك معجب بصراحتي
وصدقي. لم أكن صريحة وصادقة معك، يا جليك. لقد ضللتك
لنقتنع بشيء ليس صحيحاً على الاخلاق.
تأملته بتمعن وهي تنتظره لعله على تلك الجملة. كان ينظر اليها
بهودة وتامل، متعظاً منها متابعاً كلامها.

- اريد ان احديثك بشأن جون.
عصت على شفها بقوة كي تمنع نفسها من البكاء. واختلط طعم
الدم بالآلم الذي يعصر قلبها وجسمها بكلمته.

- وماذا بشأن جون؟
شاهدت نظراته القاسية، فأرغمت نفسها على التطلع الى عينيه
وقالت:

- انه ليس أبي.
لفظ جليك من مكانه كالتحديق واقترب منها بسرعة القهود.
أمسكها بكتفها وقرض اصابعه حتى المصطام. هزها بعنف بالغ، وهو
ينظر اليها بلهول مؤلم.

- ما هذه السخافة؟ ماذا تحاولين قوله؟ هل تحاولين إقناعي بأن
جون ليس أبي؟
ترقرقت الدموع في عينيها واهمرت على وجنتيها الورديتين،
وقسمت:

- لا يا جليك. انه ابنك، ولم اكتب ابدأ بالنسبة لذلك.
- إذن ماذا تحاولين قوله يا امرأة؟
- انه ليس أبي انا، أنا لست امه.
قلب حاجبيه بدهشة بالغة، وسأها بعصية:
- انا لا افهمك الآن. ان لم تكوني كنت امه، فمن هي اذن تلك

ازداد ألها عندما ضغط بقوة أكبر على كتفها، وقالت بصوت خافت:

«أنا أفتق ديتا».

صرخ بها جايك مذهولاً:

«هذا كذب ونفاق! لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين؟»

تهبت وقالت له خامسة:

«أنا الخليفة، يا جايك. اكس لك على ذلك».

«لا! لا!»

أرعبها صراخه ولم تعد تعلم ماذا تفعل. تركها فجأة وقال:

«لا أصدق. لا أصدقك أبداً».

تدخل جاي دي قائلاً لأنه يبدو:

«أنا تحرك القفص يا بي».

جاء به جايك وسأله بسخرية مثله:

«هل أنت تعرف، أنت عن هذا الموضوع؟ لا تقل لي أنك تصلى على

القصة الحياتية؟»

لم يرد عليه والده فوراً، بل أخرج وثيقة من درجه وأعطاه لأنه

قائلاً يبدو ونسمة:

«أعتقد أنك لم تشاهد هذه الوثيقة من قبل».

انتظرت ثانياً، وهي مشلولة الحركة والفكر، فيما كان جايك يقرأ

تلك الوثيقة عابساً متجهماً الوجه. كانت متأكدة من أن تلك الورقة

هي نسخة عن وثيقة الميلاد لجون. لا بد أن جاي دي حصل على

تلك النسخة قبل بضعة سنوات. نظر إليها جايك بعينين فولاذيتين

وسألها بعصية مكبوتة:

«ديانا كار هي شقيقتك؟»

تسلخت دقات قلبها توترا وقلقا، فاكثفت جز رأسها دليل

للموافقة. سألتها بحدّة:

«لماذا؟ لماذا تركتني أعتقد طوال هذه السنوات أنك أنت أم جون؟»

«لأنك أنت كنت والده. كنت ستأخذني مني. لم تكن لدي أي

عائلة، أي مكان لأنتق أعيش فيه، أو أي دخل كاف لأعالة

نفسي... وجون. كنت أعلم أن لا أمل لي في أن تمنحني أي حكمة

حق الوصاية، وبخاصة عندما يكون جايك لاسيتز والده».

«أولاً، كان علي أن أعيش متأنساً من أنك حملت ابني بطريقة غير

شرعية والآن، تقولين لي أن أم ابني فتاة لا أذكرها على الإطلاق!

قبض على تلك الورقة بعصية يالفة، وخيم على الغرفة صمت

ثقيل لم تسمع ثانياً خلاله سوى دقات قلبها. وفجأة رمى تلك الكرة

الورقية نحوها قائلاً بلهجة تضج عنفاً وتوترا:

«أنت تطالبين الكثير الكثير!»

شبهت ثانياً رغباً عنها. لم تعد قادرة على مواجهته بعد الآن، ليس

بعد هذا الأذى البالغ الذي لحقه به».

«سأفعل يا جايك».

وضربت بين الغرفة بسرعة دون أن تنظر إلى أي منها.

سماعها صوت جايك الغاضب. لم تلبه نظرات الدهور والاستفسار
التي خطت وجه جوليا. وسمعتها تسأل ابها:
- جايك، ملقا حدث؟ ماذا يجري هنا؟
ازاحها بمصيبة قاتلة:
- ليس الآن، يا امي، ليس الآن.
قالت له بغضب ظاهر:
- اريد ان اعرف ماذا يجري. لدي كل الحق لمعرفة ماذا يحدث في

بيتي!

- دعيه وشأنه، يا جوليا.
رفضت الاصغاء لكلمات زوجها القادة، ومضت الى القول
بحدة:

- ولكني اريد ان اعرف...
وضع جايك يده على فمها، وقال:
- سأعريك كل شيء في وقت لاحق. ابن جون الآن؟
- في الحديقة.
سمعت تاليا الجملة الأخيرة فيها كانت تغلق الباب وراءها وتغلقه
بالتفتاح.

- اقنعي الباب، يا تاليا!
تسمرت في مكانها من جراء ذلك الصوت الغاضب، وقالت له:
- أرجوك ان تهدأ، يا جايك. انهدأ.
- اقنعي هذا الباب والا حطمتها!
تردوت دقيقة قبل ان تمددأ مرعجة لتفتح الباب. حاولت جاهدة
ايجاد القوة الكافية لعدم الانهيار أثناء استجوابه الشوق. قررت ألا
تيكي، وألا تحاول استجداء عطشه وشفتيه. ليس من حقها ان تفعل
ذلك، ليس بعد الطريقة التي اساءت فيها استخدام لفته. احسنت
بوجوده داخل الغرفة حتى قبل ان تسمع صوت الباب يعلق بقوة.
تفتت بقوة ونظرت نحو المستند، وانتظرت. صرخ بها جايك

ريما www.lillas.com

١٠ - تلك الليلة

- تاليا!
سمعت صوته الغاضب، ولكنها لم تتوقف. مشيت بسرعة اكبر
عندما احسنت بأنه يتبعها. لم تتمكن من التوقف حتى بعد ان سمعته
يتألمها ثانية.

- تاليا، توقفي وعودتي الى هنا!
كان يحظرها لأنها رفضت حبه، ومن المؤكد ان شعور الاستمزاز
تضاعف لديه بعد ان تبين له كيفية استغلالها له طوال السنوات
السيئة الماضية. كيف يتمكن ان تلومه؟
لم تكن تفكر بشيء الا بالوصول الى غرفتها وعزل نفسها عن
الآخرين. كللت تصطفهم بوالدة زوجها، التي هربت الى الممر لدى

- انظري الي يا تانيا.

استدارت نحوه بيده ثقيل، وهي لا تعرف كيف تبدو ملامحها في تلك اللحظة بالذات. حدثت في عينيه القولايتين القاسيتين، وسأته بنبرة حادة:

- الا يمكنك تأجيل ذلك حتى غدا، يا جايك؟ سوف تأخر عن موعدك هذه الليلة.

ابتسم بحركة وقال غامضا ما كانت تفكر به اني حد ما:

- انا واثق تقريبا من انك ستجعين ثيابك واغراضك وتغلقون البيت، بمجرد خروجي منه. سوف تأتي هذه المناقشة على الفور، وفي هذه الغرفة بالذات.

رفعت رأسها نحوه بصورة لاشعورية وقالت:

- ليس هناك شيء آخر اضيفه حل ما قلت لك سابقا. يمكنني فقط ان اقول اني اشعر بأسف شديد وبخجل قوي لأنني لم اخبرك الحقيقة، قبل الآن.

نظر اليها بعينين ساعرتين غامبتين وقال:

- انك حقاً حزينة بسبب تصرفاتك! لا ادري كيف تمكنت من انقاع اي مدى الاعلام والية الطبية في عملك هذا، ولكنك بالتأكيد لم تمنعني انا بعد.

- اقتنك يمانا، يا جايك؟

- بسبب زواجك مني.

- تزوجتك لأجل جون. قلت لك مرات عديدة في السابق. عندما اخطأت بإبلاغك ان جون ابنك، وانكرت انك لم تأخذ الموضوع بسهولة، شعرت بأنه ليس لعملي اي مخار اخر. احببته كأنه فعلا وقولا ابني من لحمي ودمي.

- ألم تخاطر ببلاتك فقط فكرة تحويلك من تانيا كار الى السيدة لاسير؟ ألم تخاطر تلك الفكرة حتى عندما علمت ما يعنيه ذلك من سكن في

بيت جميل والى... وتخبر من اي مشاكل مالية... وتفتح بحمل اسم لاسير المشهور... وارتداء ثياب لم تكوني تعلمين حتى بالاختراب منها قبلا؟ ألم تؤثر هذه الأمور قط على قرارك؟ رفعت رأسها يشموخ واباء، وقالت بهدوء راسخ:

- لن انتقاهر بانني كنت اجهل ان عائلة لاسير ثرية وبخيرة. ولكني لن امكن من اقتناعك بان هذه الأمور لم تكن لعملي لي شيئا لو لم تكن لصالح جون ومستقبله. كانت من حبه بالولادة، في حين انها لم تكن ابدا من حقي انا.

ثم يسخره لأذعة:

- من المضحك انك لم تتوقفي ابدا عن استخدام هذه الأمور لصالحك انت.

- اذا اردت ان تصلني كامرأة جشعة تبحث عن اللعب والشهرة، فلن امكن من منعك. ما يمكنني قوله فقط هو ان مستقبل جون كان ولا يزال هي الوحيد.

حدث بها جايك فترة طويلة، ثم هز رأسه بعصية وفتح غامضا:

- لا اعرف لماذا اصدقك، ولكني اصدقك.

اختلعت الكلمات في حلقها، ولم تتمكن الا من توجيه كلمة شكر بنمعة. وضع جايك يده على رأسه وسار نحو النافذة. تأمل الأفق البعيد واحمرار الغيب بعينين زائغتين وافكار متعثرة. ثم قال لها دون ان يلتفت اليها:

- يمكنني قبولك كوالدة جون. يمكنني تصديق ذلك. ولكن ان اكتشف فجأة ان امه الحقيقية السائلة لا اذكرها...

توقف فجأة ثم سألتها:

- لريد ان اعرف كل شيء عن تلك الليلة، يا تانيا. تمسكت بصوت ضعيف احتجاجا على سؤاله المزعج:

- اوه، جايك؟

- هل هي اني... هل اخبرتك اخذك بانني والد الطفل؟

لاحظت ثانياً انه مصمم على معرفة كافة التفاصيل. اجابته
بهذه:

- نعم، هي التي اخبرتني بذلك.

- اخبرني ماذا حدث تلك الليلة. اخبرني كل شيء. تعرفت.
كان صوته قوياً وبعده أمة، الا انه لم يبعد نظره عن النافذة.
تأملت بحب وحزن ظهره الجميل ومكنيه المريضين وراسه
الشامخ. كنت لو ان بإمكانها ان تهجم عليه وتضمه الى صدرها بقوة
تخفف عنها بعض الألم. ولكن جليك يصبر على الحاق المزيد من الألم.
لم تعرف من اين تبدأ، ففرت احلامه على جميع التفاصيل منذ
البداية. قالت له بتردد:

- ذهبتا انا واخوتي معاً الى المعرض وإلى قاعة الرقص. كانت مع
بعض صديقاتها عندما الطغيت انت. انا متأكدة من انها لم تكن قريبة
مني عندما دعوتني تلك المرات القليلة الى الرقص. كنت جذاباً جداً
وساحراً للفتاة. وشعرت انك تسرق مني انفاسي كلها نظرت الي. لم
اقابل احداً مثلك من قبل.

- لماذا هربت مني؟

تهدت ثانياً وقالت:

- سيبدو الأمر سخيفاً الآن. عائلتي مررت عديدة اثناء وجودنا
على حلبة الرقص ولكن المرة الأخيرة... لود، كانت غفلة.
الزعرني. افزعني بسبب ما بدأت اشعر به. لودك ان تقضي لي
عائتي. افزعني تلك الشاعر والرخيات الدافئة، هيرت.
- بحثت عنك، فلم أجده. الى اين ذهبت؟

- ذهبت الى سيارتي التي سمح لنا والدانا باستخدامها. ذهبت
اليها واتا اتوي الصودة فوراً الى البيت. ولكني لم افهم لان ديانا لم
تكن معي. بدأت اشعر بالسخيفة وغبية لأنني تخليت ذلك الصديق
كنتين هائل. عدت الى قاعة الرقص... لم اعد فوراً بطبيعة الحال
لأنني ترددت بعض الوقت قرب السيارة. ربما مر على وجودي خارجاً

نصف ساعة او اكثر.

تهدت بقوة وهي تذكر احزان تلك اللحظات ومآسيها،
واضافت:

- عندما عدت، شاهدت صديقاً اعرفه كان يقف قرب المدخل.
سألت من ديانا، فقال لي انها في الجهة الخلفية للقاعة. دخلت
القاعة، فرأيتها تقف الى جانبك.

سألتا بشيء من الحدة والعصبية:

- هل انت متأكدة من انها كانت معي؟ الا يمكن انها كانت تقف
قرباً؟

ردت عليه بهدوء، وقد بلغ منها التأثير حداً كبيراً:

- لا، يا جليك. تبني ذلك الصبي الذي كان واقفاً امام الباب،
ثم اشار اليك وسألتني لماذا كنت ذلك الشخص الذي كان يعانقني قبل
قليل. لا اذكر ما اذا كنت اجبته نعم ام لا، ولكنه طالبي على الفور
بتحذير اعني. وقال لي ان شباب عائلته لاسيما لا يضيعون
وقتهم... فلما لم تقبل بهم هذه الفتة وجدوا تلك.

استدار نحوها بعصبية وسألها بوجه عابس غاضب:

- وهل تصدقين ذلك؟

هزت ثانياً راسها بهدوء وقالت:

- ليس الى حد كبير، في الوقت الحاضر. صدقت كلام الشاب
آنذاك، وصدقت اكثر في وقت لاحق.

قال لها ببرودة:

- وكان هذا سبب احتضارك لي ان تلك الدرجة عندما لم اتبع في
الحصول منك على ما اشتبه، استغللت احتك. هذا ما كنت
تعقده، اليس كذلك؟ كيف عرفت بالتأكيد ان احتك كانت
معي؟

- في الوقت الذي اردت التقدم نحوكما، اقرب شاب يافع من
ديانا ودعانا الى الرقص. شاهدتك تطوق خصرها بذراعك وتتدفع

ربما www.lillas.com

الشاب بعيداً قاتلاً له لها... بضاعة خاصة.

تبدد جايك بقوة وعاد ينظر الى الخارج. ارادت التوقف عن متابعة هذه الذكريات المؤلمة، ولكنها كانت تعرف انه يصير على معرفة لائق التفاصيل.

- شككت في وقت لاحق من رؤية ديانا على الفراد. حاولت تحذيرها منك، ولكنها رفضت الاصفاء الي. قالت في انها راشدة بما فيه الكفاية وتعرف كيف تصرف. طلبت مني ان اذهب الي البيت ففعلت ذلك دون تردد. كانت الساعة تشير الي الخامسة صباحاً عندما عدت الي البيت. لم نتحدث الا اعك وعن انك ستأتي لمقابلتها في نهاية الاسبوع التالي. قتل والدنا بعد بضعة اسابيع بحادث اصطدام سيارة، فاخبرتني على اثر ذلك بانها حامل.

- لماذا لا يتكفي ان تذكر شيئاً؟ لماذا؟ لماذا؟
ثم استدار نحوها وتأملها طويلاً قبل ان يسألها ثانية:
- هل كانت تشبهك؟ هل من الممكن انه اشكل على الطريق يتكفي؟

ردت عليه بملء:

- كانت سمراء داكنة الشعر، واقصر مني.

غيم الصمت الثقيل مرة اخرى لفترة طويلة لم تسمع ثانياً خلالها سوى صوت تنفسها. وضع جايك يده على حافة النافذة فيما كان يراقب جون وهو يلعب بجرافته الصغيرة بين الصخور. وانعبراً سالها دون ان ينظر اليها:

- لماذا؟ لماذا وافقت على بلدي جهود لانجاح زواجنا؟ هل كان ذلك ايضاً لأجل جون؟

تحمّلت سخرية الباردة وقالت له:

- لا، وافقت في البداية لأنك قلت لي اننا سنبحث عن بديل لانهاء زواجنا، فيما لو فشلت هذه الجهود والمحاولات. لم يكن لي ذلك البديل شيئاً سوى الطلاق، وهو امر كنت اؤمله من صميم

لنسي.

صرخ بصوت غاضب ومثل:

- لماذا لم تقوي ذلك قبلاً؟ هل كان طعم الانتقام قوياً للدرجة انك اردت الاثالي حتى النهاية؟

- لو سألتني ذلك قبل سنوات، لأجبت بالاجاب. اما الآن، او قبل اسبوع، او حتى قبل شهر، لكان جوابي مختلفاً. وقلت لك ان كلامك غير صحيح. اعتقدت ان املنا فرصة طيبة لانجاح زواجنا، وانك قد تنظر الي بعين الحب والعاطفة... او على الأقل ان تفهم سبب كذبي عليك في البداية.

ضحك بحرارة وقال لها، وهو يترك النافذة متوجهاً نحوها:

- انت لقليل من اهمية قدراتك يا ثانيا.

اغضت حينها خبطة وقالت:

- عندما قلت لي انك تحبني... وعجيتي لنفسي والصدقي، تخبت لوان الأرض انشقت وانزلتني. كنت افضل الموت على ان تكتشف الطريقة التي كنت اتحدثك بها.

- لماذا قررت اطلاق علي هذه الأمور؟ هل ارعيت ابي على ذلك؟

- قال لي ان من الافضل ابلاغك بالامر.

- كان بإمكانك ان تركبني اعتقد ان جون ابنك. لماذا لم تفعل ذلك؟

نقرت بطريقة لاشعورية الى السرير، ثم قالت له بحياء بالغ:
- لو لم اخبرك الحقيقة، واصبحت زوجة حقيقية... لكنت اكتشفت بنفسك اني... اني لست اما.

حدث بها جايك بشعور وكأنه لم يفهم كلامها. ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها قاتلاً:

- هل تعتين... هل تقوين لي انك... انك...

اطلقت صرخة قوية عندما قرأ جوابها في وجهها، ثم ضمها الى

ريما www.lillas.com

أخرى.

ضمته إليها بقوة، وكثت حينها تشعان بكل مشاعر الحب التي
تحس بها من رأسها حتى الخصى قديتها. ابتعد عنها وسألها يدوه:
هل توجد معك صورة لها؟ ربما إذا شأهنا، سأذكر.

فبحث حقبتها وأخرجت صورة اختها ثم أعطتها له. تأملها بدقة
وأغتره طويته، ثم هن رأسه وأتمت قائلاً وهو بعيد الصورة إليها:
ليس وجهها مألوفاً، مع أن لديها إيمانك الجميلة.

بدأت تبعد الصورة إلى الخلفية، ولكنه مارع وأمسك بمعصمها
قائلاً بلهفة:

انظري لحظة!

نظر مرة أخرى إلى الصورة ثم إلى تانيا. تنفست بصعوبة وسأته:

هل تتذكرها الآن؟

تذكرني جيداً يا تانيا. هل قالت لك أنها امضت ليبتها معي؟

أعني أنا بالتعبيد، بالاسم؟

هزت رأسها بإرتباك وقالت:

اعتقد ذلك. إلى ماذا تحاول التوصل، يا جايك؟

أني أسألك عما إذا قالت لك أنها كانت مع جايك لاسير، أم

أنك أنت افترضت ذلك؟

لم أجد أذكر. كنت متلهة جداً وأشعر بالمرارة والغضب. لم أريد

التحدث عنك.

اليس محتملاً أنها قالت لك أنها كانت مع جايك لاسير؟

جايك شقيقك، فلماذا كانت ستطلق عليك اسمه؟

لأن أمي كان معي تلك الليلة. أذكر كحلم قديم أننا لم نعد إلى

الفندق معاً، ولكنني كنت أعزو ذلك حتى الآن لوجودي معك.

ولكنني شاعبتك مع ديانا!

هل كان معنا أحد آنذاك؟

لا يمكنني أن أذكر ذلك.

صدره بقوة وأغرق وجهه في عقدة شعرها الجميلة. أمسكت به وهي
تصلي بالأمر تركها ابداً، وبأن يبقيا بين فراجه إلى الأبد وهو يردد
اسمها بصوت حنون هائس. كان قلبها يخفي عنهما قنينة قتلة:
هل يمكنك أن تغفر لي؟ ألي احبك كثيراً يا حبيبي.

لماذا؟ بسبب جون؟ هل ما زلت تريدني؟

فهمت بسبب تشككه بصدق حياء، فاعتزلت له بما يجوز لي
قلبي:

ألي احب جون، ولكن حين لك يختلف عن ذلك، أعرف أنك
لن تغفر لي لأني خدعتك بشأنه. ولكنني احبك، يا جايك، احبك
كثيراً.

أبعد رأسه عنها بفسولة وهو يقول:

لا، لا، لا الذي يجتاح إلى المفطرة بسبب ما فعلته معك ومع
اختك.

ظلت تمسكة به ورغضة ابتعاده عنها، وقالت:

لم أجد أشعر بأي مرارة تجاهك.

ولكنها موجودة، وموجودة بيننا. لا يمكننا التظاهر بأنها لم
تحدث.

وحلق بها ببرودة ثم مضى إلى القول:

أحبيك يا تانيا، ربما الآن أكثر من أي وقت مضى بعد أن أدركت
مدى تضحياتك تجاه أبي.

وضعت يديها برقة ونعومة حول وجهه وقالت:

اليس هذا هو الذي يهم، يا حبيبي؟ أن نحب بعضنا؟

القلعة! ألا تفهمين؟

أبعد يديها بنضب عن وجهه، ومضى إلى القول:

هذا الفراغ المربع في ذاكرتي عن تلك الليلة... برهقي،
بطلني، يكاد يقاتني. لا أعلم لماذا أتوقع منك أن تصدقني، لم أفكر
بشيء عن تلك الليلة إلا أنك، ولا أفكر أبداً أنني نظرت إلى أي فتاة

ربما www.lilas.com

- اعرف انه انطلق قاعة هناك. ولكني كنت ابحث عنك كالجنون، فلم اتيت الى شكلها... سبية، تحيفة، قصيرة، طويلة، لا ادري.

- جانيك، اني كان جانيك ذاعياً تلك الليلة التي قتل فيها؟
- لا اعرف. اعتقد انه كان على موعد مع فتاة شمال هانفيلد.
- متى قتل؟ اعني في اي يوم بالتحديد؟

- استعمل وجهه بعض الارتياح وهو يجيبها قائلاً:
- يوم السبت... نهاية الاسبوع التي كان يفترض بي لقاء ديانا خلالها. جانيك هو والد الطفل!

- عندما ابغيتني بانها حامل، سألني عما اذا كان والد الطفل هو ذلك الرجل من عائلة لاسيت الذي التقيت في قاعة الرقص. وبالطبع قلت نعم، ولم تذكر الاسم ابداً بعد ذلك الحق. عندما ولد جون، كانت ديانا طريضة جداً وكنت انا التي اعطت المعلومات الخاصة برفقة الولادة. اعطيتهم اسماء... وهذا هوك هل ذلك طويلاً هذه الستين. لوء، جانيك، انا اسفة.

- تيد بقوة وقال:
- انا لست اسفة. لا يمكنني التأكيد من ان جانيك كان فعلاً والد جون.

- ابسمت تانيا وقالت:
- ولكننا، يا حبيبي، لا يمكننا التأكد من عكس ذلك. اننا نعرف ان جون هو من عائلة لاسيت قولاً وفعلاً. ارنلي جوليا صوراً فوتوغرافية لكما عندما كننا طفلين، ولذا لك ان ثمة شيئاً هنالك بين جون وجانيك.

- تحطمت سيارته بين هنا وسيداليا. احب كثيراً ان اصديق انه كان في طريقه للقاء ديانا. ربما وقعنا بحب بعضهما تلك الليلة. احب جداً ان اصديق ذلك.

- واقترن نغمة عن ابتسامة ارنلياح ومضى الى القول:

- احب ان اصديق ذلك، ان لم يكن لشيء فلكي اريح ضميري من عذابه.

- ليس هذا الأمر صعب التصديق. اعتقد اني احببتك تلك الليلة، لفترة قصيرة على الأقل.

- ضمها بحنان نحو صدره وطوقها بذراعيه، ثم قائلاً:
- لا ادري ماذا كان سيحدث لو انك اطلعتني على الحقيقة قبل سبع سنوات.

- تيدت، ولكن بسعادة، وقالت:
- اعتقد اننا لن نعرف ذلك ابداً.

- احبك يا تانيا، يا زوجتي الصادقة الطيبة. واعتقد اني كنت ساحبك آنذاك كما احبك الآن. ان الممكن ان نكشف آنذاك حقيقة ما جرى بين جانيك وديانا، وان لنحسب الرأفة والكراهية اللذين عشناهما طوال هذه السنوات.

- التفتت به بقوة وقالت:
- احب ان اعتقد ان هذا الأمر يجعل حينا أقوى ونحن لانه ولد وعاش حيث لم يكن يجب له ذلك. الا توافقي على هذا الرأي؟ ولكنه هله المرة اجابها بالاتصال عوضاً عن الأقوال...

رَبِّمَا www.liilas.com